روائع المسرح العالمي

جونو والطاووس

مأساة
من ثلاثة فصول

تأليف **شون أوكاسي**

ترجمة علي جمال الدين عزت

مراجعة الدكتور عبدالله عبدالحافظ

تقديم
الدكتور عبدالمحسن الراعي

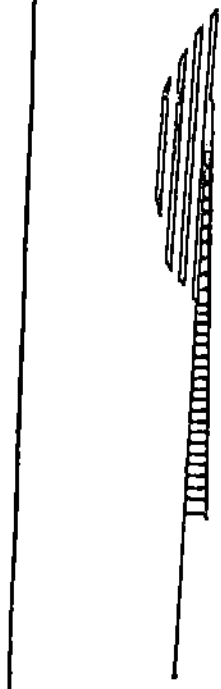

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦١

مقدمة

بقلم الدكتور على الراعى

لمحة عن المسرحية وفن أوكيزى

تقول مارى وهى تحاور چيرى ، الشاب العامل الذى تقدم يخطبها من جديد :

— الأمر كما توقعت تماما . إن إنسانيتك ضيقة كالآخرين .

وكان چيرى قد سمع بنبأ تخلى خطيب مارى عنها ، فهرول إليها يجدد العهد ، ويخطب الود ، ويؤكد لها أن الإنسانية فى حضن العمال ، ترتفع عن الصغائر جميعاً ، وأن الناس فى ظل الحركة العمالية يصبحون قادة مكافحين من أجل حياة جديدة : فلتنس مارى ، إذن ، خطيبها السابق بنتام ، ولتثق فى كلمات چيرى ، الذى سينسى

بدوره أنها تركته من أجل ذلك الرجل التافه ، الخائن العهد :

وتصدق مارى كلمات چيرى الدفاقة ، ويخايل عينيها شعاعٌ من أمل خافت خجول فتسأل چيرى ، على استحياء :

— . . وإذن فأنت تحبنى ، حتى برغم . . حتى برغم . . حتى برغم أننى موشكة . . ؟

وكانت تريد أن تقول : « حتى برغم أننى موشكة أن أنجب طفلا فى الحرام » فعقد الخجل لسانها . . ؟

وحدس چيرى مقصدها ، فتآكل حماسه ، وذوى ، وقلب لها ظهره ، وهو يعتذر بكلمات قليلة قال فيها : إنه لم يكن يتوقع أن ما حدث قد حدث فعلا ، وأنه آسف لها ، حزين !

إذ ذاك قالت له مارى :

— الأمر كما توقعت تماماً . إن إنسانيتك ضيقة كالآخرين .

إن چيرى على استعداد لأن يحب الآخرين ، ولكنه يحبهم إلى حد محدود . الحد الذى لا يهدد مصالحه بشىء .

وهو يرى من مصلحته أن يتزوج من فتاة لم يمسسها بشر ، ففى هذا سعادته ، وطمأنينة روحه .

وهذا هدف مشروع ومعقول ، ولكنه أيضاً هدف عادى ، يعتنقه ملايين الناس العاديين ، فهو لا يعطى چيرى الحق فى أن يتحدث عن نفسه بوصفه قائداً مكافحاً من أجل حياة جديدة ، وهو لا يبرر قط أن ينظر چيرى إلى الناس نظرة من يرى فى نفسه المهتدى الوحيد بين جمع من الخطأة .

قد كان من واجب القائد المكافح من أجل حياة جديدة ، أن يمد يده إلى غريقة تطلب النجدة فى تردد وعلى استحياء ، فهو عامل ، والإنسانية فى حضن العمال ترتفع — على حد قوله — عن الصغائر ، ولكنه لم يفعل هذا لأن إيمانه أقل بكثير من مضمون كلماته . ولأن حبه لذاته يفوق أضعافاً حبه للناس . هو إذن رجل صغير يتصدى لموقف كبير .

* * *

من هذا الموقف وأمثاله نسج شون أوكيزى مادة نقده لمواطنيه أهل دبلن من ساكنى الأزقة والبيوت

الفقيرة . فعل هذا فى المسرحية التى نحن بصددها : « چونو والطاووس » ، وفعله أيضاً فى شقيقتيها : « خيال مقاتل » و « المحراث والنجوم » .

فى هذه المسرحيات الثلاث التى صنعت مجد أوكيزى ، وقدمته لرواد مسرح « أبى » فى دبلن وللعالم أجمع على أنه واحد من أكبر كتاب الدراما فى عصرنا الحديث — فى هذه المسرحيات جعل أوكيزى همه الأكبر الهجوم على الادعاء والبطولة الزائفة ، بوصف أنهما من أكبر أعداء الإنسانية .

إنهما فى رأيه يجردان الإنسان من إنسانيته ، ويجعلانه عبداً لفكرة أو مجموعة أفكار تفرضها عليه عوامل خارجة ، لا تسعى لتحقيق مصلحته ، قدر ما تهدف إلى أن تفرض عليه مصالح الآخرين .

وكان أوكيزى ضد هذا التعسف الخارجى بكافة أشكاله ، فعنى فى هذه المسرحيات بأن يصوره لنا ويجسده شخصيات حية ، تنتفض ألما وحيرة بين واجب تفرضه البطولة الزائفة ، وبين حب مشروع للحياة وما فيها

من متع ، إن تكن قليلة بالنسبة لساكنى الأزقة ؛ فهى لا شك خير من رصاصة طائشة يعقبها الموت .

فى « چونو والطاووس » نجد شخصية « جونى » الشاب الذى أصيب من أجل إيرلندا ، برصاصة أفقدته ذراعه ، وأوشكت أن تقعده عن الحركة ، لقد كان هذا ظلما فادحاً لحق به ، وهو نفسه أحس بهذا وآمن به . ومع ذلك فقد وجد من حق البطولة عليه أن يمضى فى التظاهر قدما ، فهو يماشى حركة المقاومة للحكومة الإيرلندية الجديدة ، خوفاً من أن يقال إنه قد جبن عن الكفاح ، وهو فى نفس الوقت يتآمر ضد هذه الحركة ، خوفا على حياته ، وزهدا حقيقياً منه فى مواصلة الكفاح . إنه يدلى إلى أنصار الحكومة بمعلومات تؤدى إلى القبض على جاره وزميله فى الكفاح تانكريد ، فيقتل تانكريد ، ويواصل جونى حياة تعسة جبانة ، ينتفض فيها لأقل حركة ، ويحسب خلالها أن كل طارق قد جاء يلقى القبض عليه . إلى أن يحدث فعلا أن يقتحم عليه داره اثنان من زملائه السابقين فيجروه إلى حتفه . انتقاماً لمقتل تانكريد .

هنا أيضاً نجد الرجل الصغير ، تأبى الظروف المحيطة إلا أن تقحمه إقحاماً فيما لا قبل له به ، وتفرض عليه مثلا عليا لا هو مؤمن بها ، ولا هو قادر على حملها ، وهو مع هذا خائف من الناس ، مشفق من رأيهم فيه لو رفض أن يحمل الأمانة ، أو عجز عن حملها . فيضطر إلى المماشاة ، ويركب جوادين فى وقت واحد ، فتكون النتيجة أن يسقط بينهما ، وتدوسه مواكب الأحداث ، وتقتله سنابكها .

وچونى من بعد ، رجل ضيق الإنسانية مثل چيرى . إنه يقف من ورطة أخته ماوى نفس موقف الخطيب الذى جاء يجدد العهد . يُعَيِّر چونى أخته بورطتها ، ويحملها عبء جريرتها ، ثم يزيد على هذا فيزعم أنها أساءت إليه هى ووالده بويل ، وأنه وحده ضحية أسرته جميعاً ، فكلهم قاس محب لذاته ، وهو لهذا يتمنى لو أن رصاصة تنطلق أو قنبلة تنفجر فتحمله من دار الشقاء هذه إلى الدار الآخرة .

وقد كان چونى قانعاً ، من قبل ، بأن تخرج أخته وتدخل مع المدرس بنتام . وأن يتبادلا الغرام ويفعلا ما شاء لهما شيطان الهوى ، ما دام الأمر مستوراً لا يهدد بفضيحة . فلما

يخون المدرس عهد فتاته ، ويولى هارباً من المأزق الذى دفعها إليه ؛ يثور چونى ويزعم أن كرامته مست ، وكل ما يعنيه فى الواقع أنه بات يخشى أن يسوء رأى الناس فيه وفى أسرته . فكأن ما يهمه حقاً ليس الاثم ذاته ، ولكن أن يذيع بين الناس أنه وأسرته آثمون . وهو لهذا يلوم مارى لأنها أظهرت حقيقة أمرها للشاب چيرى ، ويتمنى لو أنها كانت قد صبرت حتى تزوجها ، فوضعته بهذا أمام الأمر الواقع ، وكسبت لأسرتها — ضمن الصفقة — أن يحول چيرى بين الأسرة وبين أن يعود أثاثها المشترى بالتقسيط إلى مخازن التجار ؛ بعد أن عجز رب الأسرة عن دفع الأقساط !

مثل هذا الرجل الصغير النفس لا يمكن أن يرقى إلى مقام المكافح ، حتى ولو دفعته الأحداث دفعاً إلى ميدان الكفاح ، وتقاضته ضريبة الدم ، أو العجز الجسدى . وهو قد أساء إلى نفسه إساءة بالغة بقبول النزول إلى غير ميدانه ، ولكن جرم من دفعوه إلى هذا الموقف الصعب ، يفوق جرمه هو . إنه جرم المتعصبين والمتهوسين ، أولئك الذين يمشون كالعميان وراء المثل ، ويجرون إلى صفوفهم من لا يرضى ومن لا يقدر ، ويهددونهم بالعـــار والقتل ؛ لو أنهم رفضوا

المماشاة . فلما تنتهى المسألة نهايتها الطبيعية . ويبار الصغار من ثقل التبعة . يجرى إليهم المتهوسون بالكلمات الفظيعة والمسدسات ، ويموت چونى وأمثاله برصاص الأصدقاء ، بعد أن واجهوا من قبل رصاص الخصوم .

* * *

وعلى رأس أسرة چونى هذا ، صغير آخر من الصغار هو الوالد : چاك بويل . إنه بطل من أبطال إيرلنـــدا الزائفين . واحد من أولئك الذين يعيشون على وهم أقاموه لأنفسهم واتخذوا منه تكأة يعيشون بها من يوم إلى يوم .

وهو فى رأى نفسه قبطان كبير جاب البحار من خليج المكسيك إلى المنطقة القطبية . ورأى هناك الأهوال . وتغلب عليها . وواجه الموت كما لم يواجهه أحد ، فقد تطلع إليه فى كل دقيقة . وظن كل لحظة من حياته آخر لحظاته على ظهر الدنيا . أما اليوم فهو يقضى أيامه فى الشراب والمراح ، برفقة عاطل آخر من رفاقه هو چوكسر . الذى يعيش على ما يستطيع أن يستخلصه من صديقه القبطان .

والقبطان لا يحب العمل ، ولا يريد أن يشغل نفسه به .

وهو لا يهمه من أين تأتى اللقمة ؟ طالما أنها تأتيه . حتى ولو جاءته — كما يحدث فعلا — مغمسة بدم زوجته چونو ، التى تكد وتكدح وترعى شئون أسرة لا يريد أحد فيها أن يساعد نفسه ، بله أن يساعد الأم الشقية المكدودة .

فإذا ما ذكر العمل للقبطان ، تذكر فجأة أن ساقه تؤلمه ، وأنه لا يستطيع العمل بهذه الساق المهيضة . وأن الناس ظلمة قساه إذ يضطرونه إلى العمل وهو بهذا العجز . فإذا ما انتفى إمكان العمل ، عاد القبطان إلى صديقه چوكر ، وإلى الشراب والغناء ، وإلى التبجح بما كان له فى الماضى من أمجاد .

أما زوجته چونو فهى ترى القبطان على حقيقته . إنه فى نظرها جبان ، ساقط الهمة ، شغله الأكبر فى الشرب ، وهوايته الأولى أن يعرض نسيج أكاذيبه الملونة على كل من يقف ليتطلع إليه . إنه طاووس ملون الريش ، يذرع شوارع دبلن يستعرض فيها أبهته ويتبختر أمام الناس بما يدعيه لنفسه من مجد سالف ، والناس — مخدوعين — يطلقون عليه لقب القبطان ، وكل ما بينه وبين البحر رحلة قصيرة على ظهر سفينة فحم ركب فيه الماء من إيرلندا حتى ليفربول !

صغير إذن هذا الرجلُ ، وكاذب ، ومدع ، وكسول ، وسكير . ولكننا على هذا كله ، لا نكرهه أو نحتقره كما نفعل فى حالة ابنه چونى . إنه أقرب إلى روح الحياة من ابنه ، وأشد تعلقاً بما فيها من مطايب . هو أرحب أفقاً من ذلك الابن المتأفف دائماً ، الكثير الشكوى الذى لا يرضى لحظة واحدة عن الحياة ، وعمن يحيط به من أهل وأصدقاء .

وإذا كان القبطان يحب الطعام والشراب والغناء ويكره العمل ، فإن هذا هو الجانب السلبى من التطلع إلى حياة رخية وافرة يرجوها الرجل لنفسه ، ويحلم بها ، وإن قصر كل التقصير فى العمل على بلوغها .

ثم إن خيال الرجل المشتعل — ذلك الذى يستعين به ليصور العالم الوهمى المجيد الذى يزعم أنه كان له — يمد من من قامته قليلا ، حتى ليصبح فنانا صغيرا أو شاعرا ، يرسم عالمه بالألوان ، والألفاظ ، ويسقط عليه أنوار الفكاهة الصافية ، ويرطبه بروح الدعابة التى لا تنفد ، وبتلك القدرة التى لا يعوقها شىء — القدرة على الاستغراق فى اللحظة التى تمر به ، والتمتع بها إلى أقصى الحدود — وشرب ما فيها من رحيق حتى النهاية .

إن خيال القبطان ، وحبه للجمال اللفظى والمادى ، وإصراره على العيش فى ماض مجيد وهمى ، وعدم قدرته على الالتفات إلى الواقع ، تكشف جميعا عن طبيعة الرجل الحالم ، وتشير من بعيد إلى دون كيشوت ، فواقع الأمر أن القبطان يريد هو الآخر أن يحقق العالم الجميل على الأرض ، عالم الغناء والشراب والمراح ، ويهجم هو الآخر على القلاع ويظن أنه قد فتحها — قلاع العمل ، التى يتبين بين الحين والحين أن لا مفر له من مواجهتها ، فيهجم عليها محاولا الاقتحام ، ولكنه سرعان ما يعود منها بساق تؤلمه دائماً ، وعند الحاجة . . !

من أجل هذا التطلع السلبى إلى الجمال وإلى مطايب الحياة ، ومن أجل روح الدعابة والانطلاق التى تميزه ، لا نكره جاك بويل ولا نحتقره ، وإنما نضحك منه كثيراً ، ونضحك معه أحيانا . إنه فى مأساة أوكيزى يمثل جانب الفكاهة التى تعمق المأساة وتجعلها أقرب إلى واقع الحياة — دموع تلطفها البسمات ، وضحكات يتخللها نشيج البكاء . .

* * *

وفى « چونو والطاووس » ، وفى « خيال مقاتل » وفى « المحراث والنجوم » يعرض علينا أوكيزى فى نبرات مختلطة من الغضب ، والضحك المر أحيانا ، الصافى أحيانا أخرى ، مأساة الأفراد فى مجتمع تركبه العقائد ، وتكاد تكتم أنفاسه البطولات والأوهام . يعرض علينا هذه المأساة من وجهة نظر عقيدة ثابتة تكره الحرب وترى فيها أعظم الشرور ، وتؤمن بأن أعظم المصطلين بها ، ليسوا من أشعلوا أوارها ، وإنما هم أولئك الأفراد العاديون من المدنيين الذين لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

والمسرحيات الثلاث تأخذ شكل المفارقة المؤسية المضحكة بين الوهم الذى يعيش فيه المقاتلون والمجاهدون وأشباههم ، والواقع الذى يعانيه المدنيون العاديون ، أما الوهم فيمثله — بصفة عامة الرجال — چاك دويل ، السكير العاطل ، وابنه چونى المجاهد المرتد فى « چونو والطاووس » ، ودونال دافورين الذى يتوهم أنه شاعر ومقاتل ، فى « خيال مقاتل » ، وچاك كليثيرو ، البنّاء والقومندان فى جيش المواطنين الإيرلنديين فى « المحراث والنجوم » ، الذى يدفع حياته ثمنا لتطلعه إلى المجد وإعراضه عن هوى فؤاده ، وهو العيش مع زوجته التى تعشقه ولا تتمنى شيئاً وراء جواره ؛

وتمثل النساء بصفة عامة أيضاً ، جانب الواقع . چونو ، فى « چونو والطاووس » التى تسند بكدها وشقائها قلعة المجاهدين المنهارة إلى أن تنهار ، و « ميني » التى تحول الوهم الذى يعيش فيه دونال داڤورين ، إلى حقيقة تروى بدمها ؛ ونورا ، التى تهجر بيتها وتروح تذرع الشوارع بحثا عن زوجها المقاتل ؛ لتنقذه من براثن مجده ، وتضمه إلى صدرها ليسكت عنه خوفه من الناس ، وفزعه من الموت .

وفى « چونو والطاووس » ، لا يزال وهم الأبطال المزيفين يصطرع مع واقع چونو ، حتى ينهار الوهم من أساسه فيموت چوني ضحية لهذا الوهم ، ويزداد القبطان سكراً ، وفقراً ، ويأتى الحمالون فيأخذون أثاث بيته ، وتجد چونو الصابرة أنها لن تستطيع من بعد صبرا ، فتهجر البيت وتأخذ معها ابنتها المصابة ، لكى يعيشا حياة جديدة ، بعيدة عن أنانية الأبطال والحالمين والحاملين ومدعى الشرف .

إذ ذاك يبلغ أوكيزى الهدف الذى حدده لنفسه ، إذ هو يجلس ليكتب هذه المسرحية وشقيقتها ، ألا وهو فضح المتشدقين بالألفاظ الرنانة ، والأخذ بيد المساكين من ذوى الكلمات القليلة والآلام الكبيرة .

ولكى يفعل أوكيزى هذا ، استعان بكل حيلة درامية واتته ، لم يتردد فى استخدام الميلودراما فى « چونو والطاووس » بل وظفها توظيفا دراميا رائعا ، حين جعلها تعكس تفاؤل أسرة بويل الذى لا أساس له ، ورغبتها فى العيش الرخى الوفير دون مقابل . إن الأسرة جميعا تهتز لنبأ الثروة المفاجئة التى هبطت على عميدها جاك بويل ، وتصدق هذا النبأ من فورها ، ثم يروح كل من أفرادها يصبو إلى تحقيق ما ظل طويلا يختزنه من آمال ، الشاب چونى يريد أن ينتقل إلى مسكن أحسن وأكثر راحة وجمالا ، والأب يروح من فوره يقترض يمينا ويسارا على أساس من الثروة المقبلة ، وأثاث البيت يتغير ويحل محله آخر اشترته الأسرة بالقسط ، ثم شراب ، وحفلة يدعى إليها خطيب مارى ، والجيران ، وينسى الكل فيها أن لغيرهم آلاما تلح عليهم ، وأن ابن الجيران تانكريد قد أردته رصاصات الخصوم ، بل تنتصل الأسرة من واجب العطف على أحزان الجيران ؛ فتقول الأم : إن الشاب الذى قتل قد لاقى نتائج تعصبه .

وإذ الأسرة تنعم فى ظل هذا الوهم الجميل . تهب ريح غير مواتية تعصف بشجرة سعادتها : فإذا البنت مهيضة

الشرف ، وإذا الوالد يمعن فى الفقر والسكر ، وإذا الثروة المفاجئة أسطورة لم يقدر لها طول البقاء .

وهنا يكون استخدام الميلودراما قد برر وجوده : فالإعلان عن الثروة المباغتة الذى بدا لنا — لأول وهلة — مقحما ، مصنوعا ، قد استخدمه المؤلف فى براعة ليكشف لنا أجزاء من نفسيات شخصياته . إنهم ذوو نفوس « ميلودرامية » — سريعة التأثر ، سريعة التصديق ، سريعة الانهيار ، سهلة التقلب بين الشيء ونقيضه ، وما كان إقبالهم على النبأ دون تمحيص إلا مطاوعة لهذا الاتجاه فى نفوسهم .

وما أن تصدق الأسرة النبأ وتعمل بوحى منه ، حتى تصبح الميلودراما عنصراً عضويا هاما فى المسرحية . إن الثروة المفاجئة تصبح عاملا ديناميا يساعد على تحديد مصائر الشخصيات ؛ فهى لا شك تعين الابنة مارى على الزلل ، وهى أيضاً تدفع بالقبطان قدما فى طريق السكر والتعطل ، وهى أخيراً — حين ينكشف أنه لا وجود لها — تحفز الأم چونو ، ومن ورائها ابنتها ، على هجر القبطان

وبيته ، وتدفعهما إلى تلمس عيش يقوم على الكدح ، لا على نفحات الحظ المفاجئة .

كذلك يستعين أوكيزى بالغناء ليؤكد الأثر الدرامى الذى يريد أن يقره فى نفوس مشاهديه فى مشهد بعد آخر : ففى الفصل الأول من المسرحية ، تقر أغنية بويل فى الأذهان قلة اكتراثه بمسئولياته قبل زوجته وبيته ، فهى تأتى عقب مشادة بينه وبين زوجته ، نهته فيها عن أن يمضى فى طريق التبطل ، وإنفاق القليل الذى تكسبه الزوجة على الشراب واستضافة الخلان ، وهى كذلك تأتى عقب مشهد المغازلة والتحرش الذى يطارد فيه چيرى الفتاة مارى ، ويثقل عليها ، فإذا ما فاجأه ، الأب وهو يطارد ابنته ، لم يخفل چيرى بأن يرد على تساؤل الأب ، ويمضى يضايق الفتاة .

ويرى الأب كل هذا فيكتفى بهمهمة الاحتجاج : ثم ينفجر يغنى وقد استخفه الطرب ، ولا يلبث أن يعود إلى استضافة صديقه چوكسر .

وفى الفصل الثانى يغنى كل من ميسز ماديجان وچوكسر على سبيل الترفيه عن أفراد الحفل الذى أقامه بويل احتفاء

بخطيب ابنته : وكذلك يغنى بويل أغنية من تأليفه ، وتتعاون جميع هذه الأغنيات فيما بينها على خلق جو من المرح والانطلاق وعدم المبالاة ، يعبر أحسن تعبير عن نزعة الشخصيات عامة ، والقبطان وصديقه وميسز ماديجان بصفة خاصة ، إلى التخفف من المسئوليات ، حتى ولو كان فى هذا إساءة إلى الغير .

ويتأكد هذا المعنى حين ترفض الجماعة أن تكف عن المرح ، حفظا لشعور أم الفقيد الشاب تانكريد . وحين تقبل الجنازة ونسمع الأغنية الجنائزية التى يرددها المشيعون ، يبرز لنا من هذه المفارقة الشديدة بين مرح آل بويل وأصدقائهم ، وحزن آل تانكريد وصحبهم معنى آخر يحرص أوكيزى على تأكيده ، ليس فى هذا المشهد فقط ، وإنما فى المسرحية عامة ، وفى غيرها من مسرحيات ، ألا وهو أن شخصياته تضج وتمرح وهى على أبواب جهنم فالعالم كله ، وليس إيرلندا فقط « فى براثن أزمة فظيعة » ، كما يقول بويل فى آخر المسرحية .

وفى الفصل الثالث لا يغنى واحد من أفراد المسرحية ، وإنما تردد مارى أشعاراً طالما رددتها مع خطيبها الأسبق

جيرى . وتتحدث هذه الأشعار عن الحلم الرائع الذى تحلمه الإنسانية ، ممثلة فى الحركة العمالية ، بيوم تملك فيه ناصية القوة والجمال معا ، وتذكر كيف أن ضياء هذا الحلم لا تلبث أن تنطفئ حين تتبين الإنسانية أن أغنيتها إن هى إلا صرخة ألم يقطع نياط القلوب ، وأن الصورة التى صورتها لنفسها لا تلبث أن تشوهها يد مهتزة مجنونة .

هنا تؤدى الأشعار الوظيفة الدرامية التى تقوم بها الأغنية ، من تصوير لحال الشخصيات ، وتعليق عليها ، وتضيف إلى هذا تعليقاً يفيض بالأسى ، ويجمع بين العذوبة والمرارة ؛ على الوضع الإنسانى كله ، وليس على الشخصيات وحسب . الوضع الإنسانى الذى لا يزال يسمح لأزاهير الأمل بأن تدوسها أقدام فظة غليظة — أقدام الظلم الاجتماعى ، والقبح الخلقى والنفسى .

وبالإضافة إلى هذا كله ، تقوم الأغنيات والأشعار فى المسرحية بتشكيل العمل الفنى بالشكل الذى يهدف إليه أوكيزى ، فهو كان يطمح فى خلق مسرحية مرنة الشكل ، تصور عواطفنا ونفوسنا ، وليس أفكارا صرف ، وتجمع

بين الدراما والأغنية ، والفكاهات والمونولوجات المرحة المعروفة فى فن « الميوزيك — هول » ، وفى الحفلات المرحة التلقائية التى تجرى فى الخمارات الشعبية ، والتى يدور فيها الغناء ، وتعزف الموسيقى ، وتتبادل النكات بين الفنان وجمهوره .

ذلك أن أوكيزى قد تربى — فنيا — فى مدرسة الكاتب الدرامى الشعبى الإيرلندى ، « ديون بوسيكو »[1] ، الذى كان يؤمن بالمسرح كوسيلة إمتاع قبل وبعد كل شىء ؛ فلم يتردد فى استخدام الميلودراما ، والغناء ، والفكاهة ، والتهريج ، والنكات ، ولم يتوان عن أن يضمها جميعا بين دفتى عرض مسرحى ناجح ، كان يمتع جمهوره ويغذيه فنياً وعاطفيا وجمالياً .

وقد وافقت هذه النظرة إلى الدراما آراء أوكيزى ، الذى وجد فى مستهل حياته المسرحية ، أن المسرح الأوربى ، والإنجليزى قد استبدت به الأفكار ، على حساب

---

(١) عاش بين أعوام ١٨٢٢ — ١٨٩٠ . ممثل ومخرج ومؤلف مسرحى كتب واقتبس ١٤٠ مسرحية ، وعاش حياة عريضة بين إيرلندا وانجلترا وأمريكا .

المواقف ، والعواطف الإنسانية . فقرر أن يضم جهوده إلى جهود مواطنيه ، بيتس ، وسينج . لإخراج مسرح يهتم بالفرد أكثر مما يهتم بالمشكلة ، ويشغله القلب البشرى وما يحوى من أسرار ومتناقضات ، أكثر مما تهمه أدمغة البشر وما أنتجت من كتب ونظريات وقوانين وأنظمة .

* * *

بقيت بعد هذا كلمة عامة عن مسرح أوكيزى ، لعلها تعيننا ، ولو قليلا ، على أن نفهم هذا الفنان الدفاق الروح ، القلق النفس ، الكثير التقلب بين الألوان المسرحية والأنماط .

إنه فى المسرح يعد الوريث الشرعى لكل من شكسبير ، وبن جونسون ومارلو ، وغيرهم من كبار الاليزابيثيين . من شكسبير استمد روحه الغنائية . وشخصياته النزاعة إلى « الدندنة » ورفع العقيرة بالغناء ، وعنه أيضاً أخذ الفكاهة الممزوجة بالعاطفة ، والتى تحتفى أشد الاحتفاء بما تقدم من شخصيات كوميدية . وتعطف عطفا ظاهراً على ما فيها من عيوب ونقائص ، بدلا من أن تستخف هذه العيوب أو تحتقرها .

ومن بين جونسون . استعار أوكيزى غضبه الكبير ، وقلة صبره على تغفيل المغفلين ونفاق المنافقين ، وإجرام المجرمين ، وعنه أيضاً ورث الشهوة الكبيرة لإصلاح الناس والمجتمع ، عن طريق كشف العيوب وإبرازها إبرازاً لا رحمة فيه ولا هوادة .

أما مارلو ، فقد خلع على أوكيزى خطابته الدافقة الفياضة ، ومواقفه الرنانة ذات الجرس الفخم الرائع ، وحبه للفظ معنى ونغما .

كذلك أثرت فى فن أوكيزى حياة صاخبة ، كثيرة الأحداث ، بدأها بالالتصاق بالحركة الوطنية الإيرلندية ، وبالحركة العمالية ، وفقد خلالها الوظيفة تلو الوظفية ، بسبب استقلاليته وعناده ، وغضبه الذى لا ينتهى ، وإصراره على أن لا ينافق أحداً ، وألا يخلص لغير مبدئه : بل إن اشتراكه فى ثورة عيد الفصح[1] قد كاد يودى بحياته ، فقد سيق فعلا للإعدام ، ووقف أمام الحائط ليتلقى رصاص الجلاد ، لولا أن أنقذ فى آخر لحظة .

---

(١) قام بها الوطنيون والعمال الإيرلنديون ضد الاستعمار البريطانى لبلادهم عام ١٩١٦ .

وقد نقل أوكيزى روحه القلقة هذه ، وصلابته . وغضبه المقدس إلى المسرح ، فأصر ، رغم احتجاج أصدقاء له كبار من أمثال الشاعر ييتس ، أحد مديرى مسرح « أبى » ، الذى قدم أوكيزى للناس ، أصر المسرحى الإيرلندى على التجريب الدائم ، فقدم بعد مسرحياته الواقعية الثلاث التى تقدم ذكرها مسرحية « الكأس الفضية » فى اللون التعبيرى ، وكتب مسرحية كوراليه ، سماها : « وراء البوابة » ، ثم انتقل إلى ألوان مسرحية أخرى مثل الواقعية الغنائية ، فى مسرحية : « ورود حمراء من أجلى » والفانتازيا فى « الديك » وعاد إلى الميلودراما فى مسرحية : « نيران سمر الأسقف » .

تقلب أوكيزى بين كل هذه الألوان سعيا وراء التعبير الفنى المخلص عن نفسه ، رغم أن هذا التجريب قد عاد عليه بأضرار مادية كبيرة . فقد رفض صديقه ييتس أن تمثل « الكأس الفضية » على مسرح « أبى » وأعرض فريق كبير من المخرجين والممولين عن تقديم مسرحياته ، بينما وجد فريق آخر أن العبء الفنى الكبير

الذى تلقيه هذه المسرحيات على كاهل الفنيين والفنانين ، أكبر من أن تتحمله إمكانيات المسرح المعاصر ، الذى يعتمد على تجسيد محدود لتجارب محدودة .

ولكن هذا الإعراض لم يفت فى عضد أوكيزى . فكما نظر إلى حاضر الإنسانية فى سخط ، وتطلع فى حب وإعجاب إلى مستقبل لما يراه جميلا ورديا ، كذلك تحدى المسرح المعاصر ، وكتب لمسرح آخر كان له تاريخ مجيد ، مؤمنا بأنه سيكون له أيضاً مستقبل باهر : .

إن مسرح الشوامخ يخاطب روح الإنسان ، وروح الإنسان أبدا — كفن أوكيزى وروحه — دائمة التجريب .

على الراعى

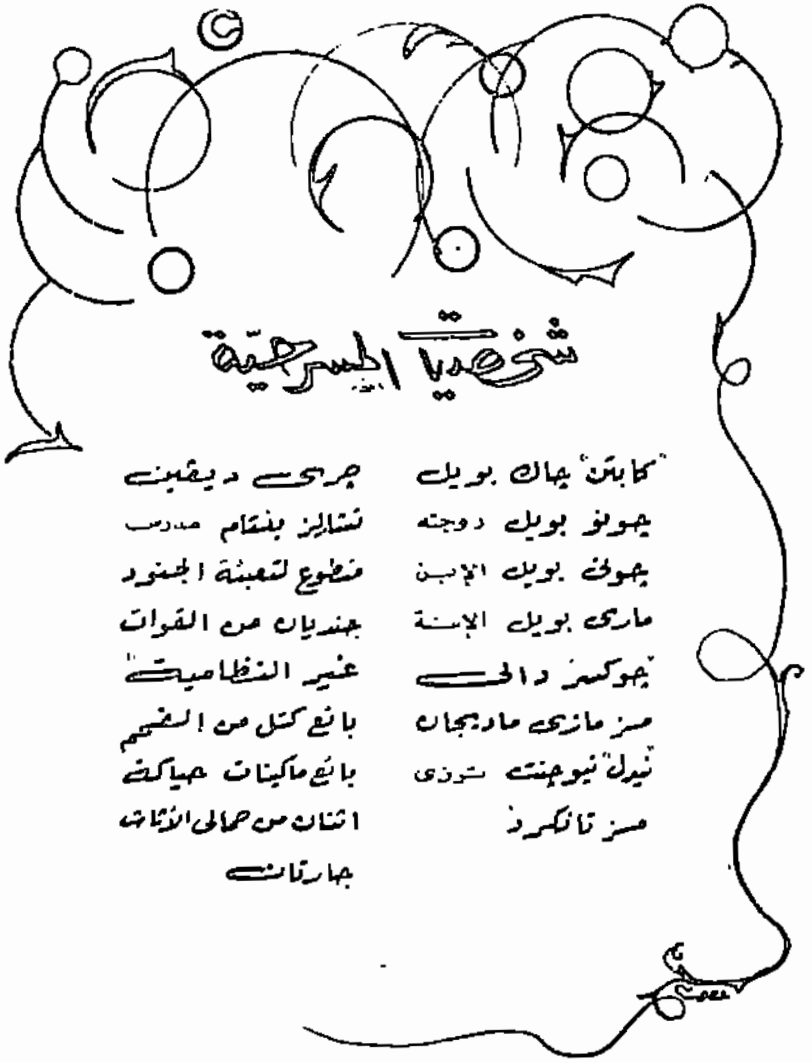

شخصيات المسرحية

"كابتن" جيك بويل
يونو بويل زوجته
جوني بويل الابن
ماري بويل الابنة
"جوكسر دالي"
مستر مازي ماديجان
"تيدي" نيوجنت شرطي
مستر تانكردي

جري ديفين
تشارلز بنسام مدرس
متطوع لتعبئة الجنود
جنديان من القوات
غير النظامية
بائع كتل من الشمع
بائع ماكينات حياكة
اثنان من حملة الأثاث
جارتان

(١) القوات التابعة للجيش الجمهوري الحالي، الجيش الحكومة لدولة أيرلندا الحرة أثناء الحرب الأهلية التي استمرت في أيرلندا من ١٩٢١ إلى ١٩٢٣ والتي تدور أحداث المسرحية. المترجم

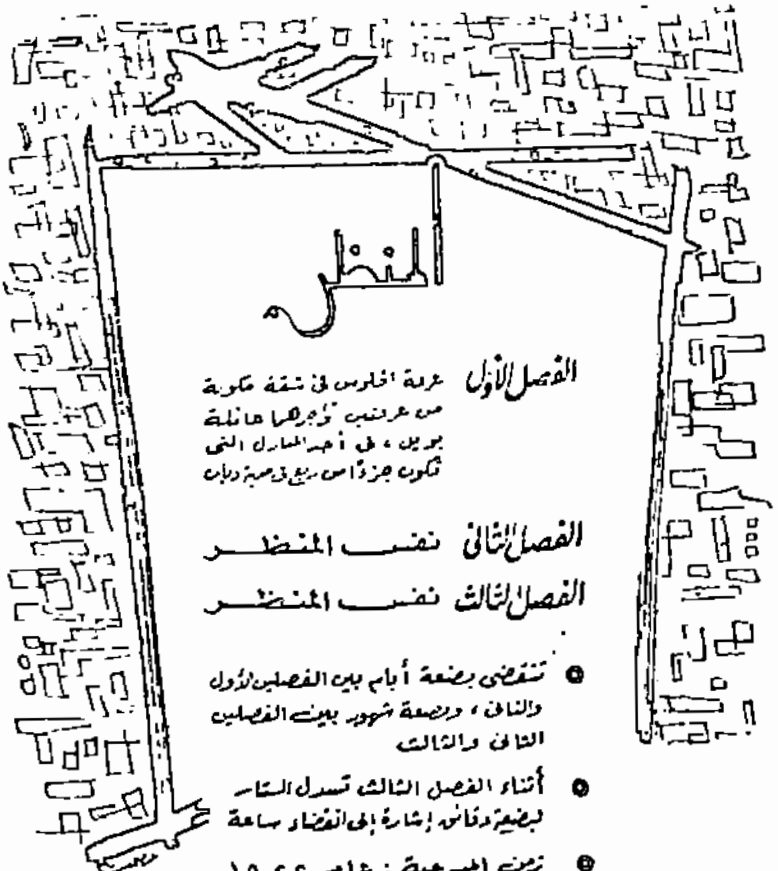

المنظر

الفصل الأول غرفة الجلوس في شقة مكونة من غرفتين تؤجرها هانلة بوين ، في أحد العمارات التي تكون جزءاً من ربع في جهة دبلن

الفصل الثاني نفس المنظر

الفصل الثالث نفس المنظر

- تنقضي بضعة أيام بين الفصلين الأول والثاني ، وبضعة شهور بين الفصلين الثاني والثالث
- أثناء الفصل الثالث تسدل الستار لبضع دقائق إشارة إلى انقضاء ساعة
- زمن المسرحية : عام ١٩٢٢

الفصل الأول

[غرفة الجلوس فى شقة مكونة من غرفتين تشغلهما عائلة بويل فى أحد المنازل التى تكون جزءا من ربع فى مدينة دبلن . إلى اليسار باب يؤدى إلى جانب آخر من المنزل ؛ وإلى يسار الباب نافذة تطل على الشارع . فى الجزء الخلفى من المسرح خزانة لأدوات المائدة ؛ إلى يمينها نافذة تطل على مؤخرة المنزل . بين النافذة والخزانة صورة العذراء معلقة على الحائط . أسفل الصورة يوجد إناء قرمزى اللون يرتكز على حامل ، ويشتعل فيه ضوء من أضواء النور يسبح فى الهواء . إلى أقصى اليمين سرير صغير تحجب جانباً منه عن الأنظار ستائر من قماش الكريتون معلقة على حبل من الدوبار . المدفأة إلى اليمين ؛ وعلى مقربة منها يوجد باب يفضى إلى الغرفة الثانية . ثمة صندوق يحتوى على بعض الفحم بجانب المدفأة . منبه مقلوب على رف المدفأة . هناك مغسل للاستحمام (بانيو) مطلى بالزنك فى الركن المجاور للنافذة المطلة على مؤخرة المنزل . منضدة وبضعة مقاعد . توجد على المنضدة بعض الأشياء المعدة لإفطار شخص واحد . إبريق الشاى على المدفأة ومقلاة داخل حاجز المدفأة . هناك بضعة كتب فوق خزانة أدوات المائدة ، وكتاب واحد على المنضدة . يستند إلى الخزانة مجرف ذو مقبض طويل — من النوع الذى يستخدمه العمال عادة فى

تقليب الخرسانة أو خلط الملاط . جون بويل جالس بجوار المدفأة . مارى – وقد خلعت (البلوفر) ووضعته على ظهر أحد المقاعد – تصفف شعرها أمام مرآة صغيرة قابعة فوق المنضدة . الصحيفة اليومية منشورة بجانب المرآة . تلقى مارى نظرة على الصحيفة حينما تنصرف بنظرها عن المرآة ، وهى فتاة مليحة تشوقة القد فى الثانية والعشرين من عمرها ، تتجاذب عقلها قوتان ، إحداهما تشدها إلى الوراء بحكم ظروف حياتها ؛ والأخرى تدفعها إلى الأمام تحت تأثير الكتب التى تطلع عليها . يبدو أثر هاتين القوتين المتنازعتين واضحاً فى حديثها وأخلاقها التى حللت منها عوامل بيئتها ، على حين أدى اطلاعها على الأدب – وإن كان اطلاعا طفيفاً – إلى تهذيبها . . وقت الضحى] . .

مارى : [تنظر إلى الصحيفة] عثر على جثته على قارعة طريق جانبى صغير خلف فنجلاس .

[تدلف مسز بويل خلال الباب الذى إلى اليمين وهى تحمل فى يدها ربطة صغيرة . فقد كانت تبتاع بعض الأشياء . وهى تبلغ من العمر خمسة وأربعين عاما ، ويبدو على محياها أنها كانت امرأة مليحة منذ عشرين سنة خلت ، بيد أن وجهها ترتسم عليه الآن تلك النظرة التى تستقر آخر

الأمر على وجوه النساء اللاتى ينتمين إلى الطبقة العاملة ؛ وهى نظرة عـــدم مبالاة مبعثها حياتها الرتيبة وقلق يشيع فيه الأسى ، نظرة تمتزج بتعبـــير ينم عن قدرة آلية على الاحتمال . ولو أن ظروفها مواتية لكان من المحتمل أن تصبح امرأة وسيمة ، نشطة ، قديرة] .

مسز بويل : ألم يأت بعد ؟

مارى : كلا ، يا أماه .

مسز بويل : أوه ، سوف يأتى وقتها يشاء ؛ إنه يسير مختالا فى أرجاء المدينة كالطاووس ، فى صحبة چوكسر ، على ما أعتقد : لقد سمعت أن أخبار ابن مسز تانكرد قد نشرت كلها فى صحف الصباح :

مارى : لقد أوردت الصحف التفاصيل برمتها هذا الصباح ؛ فقد أصابته سبع رصاصات — واحدة اخترقت الرقبة ، ونفذت أسفل لوح الكتف الأيسر محدثة جرحا داميا ، وأخرى فى الجهة اليسرى من الصدر اخترقت القلب ، و . . :

چو : [يقفز من مكانه بجوار المدفأة] أوه ، أستحلفكم بالله أن تكفوا عن هذه القراءة ! هل فقدتم كل مشاعركم ؟ لن يمر وقت طويل حتى لا تقرأ أيكما شيئاً سوى أنباء المذابح ! [يهرع إلى الغرفة التى إلى اليسار] .

مارى : لقد أصبح شديد الحساسية ، على حين فجأة !

مسز بويل : سوف أطالع النبأ بنفسى ، يا مارى ، بعد قليل ، حين أعود من عملى . إن الناس كلهم يشيعون أنه كان من فئة " المقاتلين المعاندين[1] " — حمداً لله على أن چونى لم يكن على علاقة به طيلة هذه المدة : : :

[تفتح الربطة وتتناول منها بعض السجق وتضعه فى طبق] آه ، والآن ، إذا لم يحضر أبوك على وجه السرعة لتناول طعام إفطاره ، فلينصرف دون أن يصيب منه شيئاً ؛ ولن أنتظره أكثر من هذا .

مارى : ألا يمكنك أن تدعيه يتناوله بنفسه عند حضوره ؟

مسز بويل : نعم ، حتى يتسنى له أن يصطحب چوكسر دالى معه ؟ نعم ، هذا هو مراده ، وهذا هو ما يترقبه — ينتظر حتى يظن أننى

---

(١) جماعة من المتطرفين كانوا يرون أن تصبح أيرلندا جمهورية مستقلة تماماً عن انجلترا ، وكانوا يكافحون فى سبيل ذلك فى إصرار وعناد . (المترجم)

انصرفت إلى عملى ، ومن ثم يتسلل إلى الداخل مع هذا الوقح چوكسر ، لكى يستنفدا كل الفحم ويختسيا كل الشاى الموجود بالشقة ، وذلك لكى يظهر كرمه الحاتمى ! ولـكننى لن أنصرف حتى يعود ، ولو اضطررت لانتظاره حتى صباح الغد .

صوت چونى فى الداخل : أماه !

مسز بويل : نعم ؟

صوت چونى : أحضرى لى جرعة ماء .

مسز بويل : احملى إلى هذا الغلام جرعة ماء ، بالله عليك ، يا مارى .

مارى : أليس هو كبيراً وقادراً على أن يخرج ويحصل عليها بنفسه ؟

مسز بويل : لو أنك كنت غير معافية لوددت أن يحمل إليك شخص آخر جرعة ماء . [تحمل إليه الماء ثم تعود] .

مسز بويل : أليس من الفظاعة أن أضطر للانتظار بهذه

الطريقة ! إنك لتحسبينه وهو يتصرف بهذه الكيفية أنه ينفق على بيته عشرين جنيها فى الأسبوع . لقد استنفد قيمة التأمين الصحى منذ مدة طويلة ، وهو بسبيل استنفاد إعانة البطالة ، وهاهو الآن يسعى للقضاء علىّ ! ورغم ذلك يرفع عقيرته بالغناء فى كل آن ، فى الوقت الذى يتعين عليه أن يجثو على ركبتيه يتذر لله عبادة تسعة أيام إذا حصل على عمل !

ماری : [تجرب شريطاً – أشبه ما يكون بعصابة الجبين – حول رأسها] لا يروق لى هذا الشريط ، يا أماه ، أعتقد أنه من الأفضل أن ألبس الشريط الأخضر – فهو يبدو أجمل من الأزرق .

مسز بويل : آه ، البسى الشريط الذى يحلو لك ، أيتها الفتاة ، وحسبى ألا تضايقينى . لست أدرى ماذا تبغى فتاة مضربة من وراء ارتداء شريط حول رأسها . أو جورب

من الحرير فى ساقيها ؛ إن ارتداء هذه الأشياء هو الذى يدخل فى روع أصحاب الأعمال أنكم تتقاضون أكثر مما ينبغى .

ماری : لقد مضى الزمن الذى كنا نستأذن فيه أصحاب الأعمال لكى نرتدى ما يروق لنا .

مسز بويل : لا أعلم السبب الذى من أجله أردت الإضراب من أجل چنى كلافى ؛ فإنك لم تذكريها بكلمة طيبة حتى وقتنا هذا .

ماری : وما هو جدوى الانتماء إلى إحدى نقابات العمال إذا لم تهبى لنصرة مبادئك ؟ لماذا طردوا هذه الفتاة ؟ لقد كانت حالة صريحة من حالات الغدر . ولم يكن فى وسعنا أن نتركها تهيم على وجهها فى الطرقات ، أليس كذلك ؟

مسز بويل : كلا ، لم يكن فى وسعكم بالطبع — فقد أردتم أن تشاركوها مصيرها . ضحية واحدة ليست بكافية . فما إن يضحى أصحاب الأعمال بفريسة واحدة حتى تتفوق

عليهم نقابات العمال بأن تضحى بمائة :

مارى : لست أبالى بما تقولين ، يا أماه — فإن المبدأ هو المبدأ :

مسز بويل : نعم ؛ وحين أتوجه غداً إلى حانوت مرفى العجوز ، ثم يعلم أننى قادمة لكى أقترض مبلغاً آخر من المال بدلا من أن أدفع له كل ما علينا ، ما عساه قائلا حين أخبره بأن المبدأ هو المبدأ ؟ وما عسانا فاعلين إذا رفض أن يبيع لنا شيئاً على الحساب بعد الآن ؟

مارى : لن يجسر على الرفض — وإن رفض ، ألا يمكنك أن تقولى له أننا نقوم بتسديد حسابه ؟

مسز بويل : يبدو وكأننا نسدد الحساب فى الظاهر فقط ، سواء رفض أن يبيع لنا أولم يرفض :

[يظهر چرفى عند الباب الذى إلى اليسار . يمكن رؤيته الآن بوضوح ؛ فهو شخص نحيل ضعيف البنية ، يصغر مارى بعض الشىء .

يلوح عليه أنه مر بوقت عصيب . وجهه مسحوب شاحب اللون ؛ تشيع فى عينيه نظرة زائغة مصدرها خوف مبهم . كم ستركه الأيسر فارغ ، وفى مشيته عرج خفيف] .

ونى : كنت مستلقيا على فراشى ، معتقدا أنكما قد انصرفتما ، وإذا بسيمون ما كاى العجوز يذرع الأرض جيئة وذهابا فوق رأسى كحصان يدق بقدميه ، لدرجة أننى لا أستطيع النوم — إن وقع أقدامه مثل قصف الرعد فى رأسى ! ألا لعنة الـ : : . فليسامحنى الله ، إذ كنت على وشك أن ألعن هذا الرجل !

مسز بويل : هون عليك ، وعد إلى فراشك ، وسأحضر لك قدحا طيبا من الشاى .

چونى : شاى ، شاى ، شاى ! إنك لا تفكرين إلا فى الشاى على الدوام ، ولو أن إنسانا كان يحتضر ، لحاولتى أن تجعليه يزدرد قدحا من الشاى ! [يعود إلى الغرفة]

مسز بويل : لست أدرى كيف أتصرف معه . لقد أثرت عليه الرصاصة التى أصابته فى ردفه فى أسبوع عيد الفصح تأثيراً سيئاً للغاية ، ولكن القنبلة التى هشمت ذراعه فى القتال الذى دار فى شارع أوكونل قد أجهزت عليـــه . كنت أعلم أنه يخدع نفسه — ويعلم الله أننى جثوت أمامه على ركبتى أتوسل إليه ألا ينضم ثانية إلى جماعة « الدولة الحرة »[1] .

مارى : لقد تمسك بمبادئه ، بصرف النظر عما يمكن أن تبديه من مناقشة فى هذا السبيل ، يا أماه ، فإن المبدأ هو المبدأ .

صوت چونى : أستبقى مارى بالمنزل ؟

---

(١) الجماعة التى كانت مناوئة لجماعة « المقاتلين المعاندين » أو « الجمهوريين » . وقد رضيت هذه الجماعة بمعاهدة سنة ١٩٢١ ، التى فرضها لويد چورج على أيرلندا فرضا ، والتى كانت تقضى بمنح أيرلندا حكما ذاتياً مع بقائها خاضعة للتاج البريطانى ، كما كانت تقضى بتقسيم أيرلندا إلى شطرين . (المترجم)

مارى : كلا ؛ لن أبق هنا ؛ ولا تنتظر منى أن أكون دائما رهن إشارتك .

چونى : لن أظل هنا بمفردى !

مسز بويل : ألست منكوبة بكم جميعاً ! لست أدرى ماذا عساكم فاعلين بدون أمكم . [مخاطبة چونى] سوف يجىء أبوك إلى هنا خلال دقيقة واحدة ، وإذا احتجت إلى شىء ما فلسوف يحضره لك .

چونى : إنى أكره أن أطلب منه أى شىء . . فهو لا يحب أن يطلب منه إنسان أن يتزحزح من مكانه : : هل النور مضاء أمام صورة العذراء ؟

مسز بويل : نعم ، نعم ؛ لا يكفيه النور المضاء فى الداخل أمام القديس أنطونيو ، ولكنه يحتم علينا أن نضىء نورا آخر للعذراء هنا !

[يدلف چرى ديفيس مسرعا . وهو يناهز الخامسة والعشرين من عمره ، متين البنية ، نشطا ، متحمساً . يمثل النمط الذى أصبح الآن شائعاً جداً فى الحركة العمالية ، ذلك النمط الذى تبلغ فطنته درجة يستطيع معها أن يخلق من جمهرة زملائه – الذين يقلون عنه إدراكا – قوة ، ولكنها فطنة تقصر عن توسيع نطاق هذه القوة حتى تحقق النفع للجميع . تمسك مارى (بالبلوفر) وتهرع إلى الغرفة التى إلى اليسار] . .

چرى : [لاهثا] أين الكابتن ، يا مسز بويل ، أين الكابتن ؟

مسز بويل : بوسع أى إنسان أن يجيبك على هذا السؤال : فهو يذهب أينما يذهب چوكسر دانى – يسكر فى حانة أو فى أخرى .

چرى : لقد استوقفنى الأب فاريل منذ لحظة لكى يبلغنى بأن أسارع لإقناع الكابتن بالتوجه إلى العمل الجديد الذى يجرى فى رانمايز ؛ فإن ابن عمه رئيساً للعمال

هناك ، وكان الأب فاريل قد تحدث إليه بخصوص چونى المسكين وأبيه المتعطل منذ مدة طويلة ، ومن ثم طلب رئيس العمال من الأب فاريل أن يبعث إليه بالكابتن لكى يسلمه عملا — أين يا ترى يمكن أن أعثر عليه ؟

مسز بويل : قد تجده إما فى حانة « ريان » أو فى حانة « فولى » .

چرى : سوف أسرع إلى حانة ريان — فإنى أعلم أنها من الحانات المفضلة لدى چوكسر . [يخرج مسرعا] .

مسز بويل : [فى أسى] ويحى ! لسوف تفته فرصة هذا العمل ، إننى على يقين من ذلك ! إذا اشتم رائحة الخمر فلن يعود إلا فى المساء ، حتى يكون الوقت قد فات . لن ترجى منه فائدة على الإطلاق طالما سار فى رفقة هذا الرجل چوكسر الذى

من عادته هز كتفيه . إننى أقتل نفسى
فى العمل ، بينما يختال هو هنا وهناك
كالطاووس من الصباح حتى المساء !

[يسمع وقع خطوات شخصين يصعدان الدرج .
ليست إلا وقع خطوات كابتن بويل وچوكسر .
كابتن بويل يرفع عقيرته بالغناء فى صوت
عميق ، جهورى ، فيه اعتزاز بالنفس] .

الكابتن : أيتها الروح العالية ، فلتستجيبى لدعائى !
فلتستجيبى . . . آه . . . استجيبى . . .
لدعائى . . استجيبى ، آه ، استجيبى . .
آه ، است . . جيبى . . آه است . .
جيبى . . دعـ . . ا . . ئى !

چوكسر : [فى الخارج] آه ، تلك أغنية عزيزة ،
أغنية عز . . يـ . . يزة !

مسز بويل : [فى خبث] أيتها الروح العالية ، استجيبى
لدعائه ! إننى أقسم قسما مغلظا أنه
لا يدعو من أجل الحصول على عمل !

[تجلس على الفراش بحيث تحجبها ستائر الكريتون
عن أنظار الداخلين من الباب] .

[يدلف الكابتن . وهو رجل فى حوالى الستين من عمره ، ممتلئ الجسم ، أشيب الشعر ، رقبته قصيرة ورأسه أشبه ما تكون بكرة من الحجر مما يراها المرء أحياناً تعلو أعمدة البوابات . أما وجنتاه ذات اللون الأرجوانى المشوب بحمرة خفيفة ، فهما منتفختان كأنه يدأب على حبس صيحة تكاد تنطلق . فوق شفته العليا شارب قصير قد قصّ بعناية ؛ عندما يسير يميل بالجزء الأعلى من جسمه إلى الوراء قليلا ، بينما يبرز كرشه قليلا إلى الأمام ، يمشى متئدا يتبختر فى زهو وخيلاء . ملابسه متسخة . وعلى رأسه قلنسوة بحار باهتة اللون ذات حافة لامعة] .

بويل : [مخاطبا جوكسر الذى لا زال فى الخارج] هيا ، ادخل ، ياجوكسر ، لقد انصرفت منذ وقت طويل . يارجل ، وإذا لم يمكننا الحصول على شىء ، ففى وسعنا أن نحتسى قدحا من الشاى ، على أية حال . إنه الشىء الوحيد الذى أتناوله فى هدوء أثناء غيابها . كان يجب ألا تكنى باسم

چونو على الإطـــلاق ، بل باسم « ديدرى فتاة الأحزان »[1] إذ أنها تتذمر على الدوام .

[يخطو چوكسر فى حذر إلى داخل الغرفة . قد يكون أصغر سنا من الكابتن ولكن يبدو عليه أنه أكبر منه بكثير . وجهه أشبه بحزمة من الورق المثنى ؛ وعيناه تشع منهما ومضة تنم عن المكر . وهو نحيف متهدل البنيان ، تلازمه عادة هز كتفيه باستمرار فى اختلاجة غريبة يقصد بها التودد إلى الناس . كما ترتسم على وجهه بصـــفة مستديمة كشرة تكشف عن أسنانه] .

چوكسر : إنه لشىء فظيع أن ترتبط بامرأة تجأر بالشكوى على الدوام . لست أدرى كيف تطيق هذا — لو أنى مكانك لهرمت قبل الأوان . ومن حسن الطالع أنها تضطر إلى

---

(١) اسم مأساة من تأليف الكاتب الأيرلندى ج . م . ســينج بطلتها « ديدرى » التى تموت فى نهاية المسرحية بعد أن تطعن قلبها بمدية حبيبها . (المترجم)

قضاء جل وقتها خارج البيت [بهز كتفيه]
وإذا غاب القط لعب الفار !

بويل : [بحركة آمرة تنم عن الرضا] اقترب من المدفأة ، ولسوف نتناول قدحا من الشاى فى ظرف دقيقة واحدة .

چوكسر : آه ، إن قدحا من الشاى لهو شىء عزيز ، شىء عز . . يـ . . يز — القدح الذى ينعش ولا . . :

[يكف چوكسر عن نفثه الحماسية حينما يرى چونو وهى تتقدم حتى تواجه الصديقين الحميمين اللذين يصابان بالوجوم] .

مسز بويل : [فى تهكم رقيق ، وهى تحرك النار ، وتدير رأسها لكى تحدج چوكسر بنظراتها] اقترب من المدفأة ، ياچوكسر دالى ، ولسوف نتناول قدحا من الشاى فى ظرف دقيقة واحدة ! هل أنت متأكد الآن أنك لا تريد بيضة كذلك ؟

چوكسر : لا أستطيع الانتظار ، يامسز بويل ؛ إننى مستعجل جداً ، مستعجل جداً .

مسز بويل : اقترب من المدفأة ، ياچوكسر دانى ؛ فإن الناس دائماً يجدون من أسباب الراحة هنا ما لا يجدونه فى بيوتهم .

[يتجه چوكسر مسرعاً نحو الباب ؛ يهم بويل بالخروج فى إثره ؛ ثم يفكر فى شىء يخفف من حدة الموقف — فيتوقف ، منادياً على حين فجأة] چوكسر !

چوكسر : [واقفا عند الباب على أهبة الفرار] نعم ؟

بويل : أنت تعرف رئيس العمال الذى يشرف على العمل الجارى الآن فى كيلستر ، أليس كذلك ، ياچوكسر ؟

چوكسر : [متحيرا] رئيس العمال — كيلستر ؟ .

بويل : [بنظرة ذات معنى] إنه من أصـــدقائك ، أليس كذلك ؟

چوكسر : [وقد بدأت الحقيقة تتجلى أمامه] رئيس العمال فى كيلستر ، أوه نعم ، نعم . إنه صديق

قديم لى — أوه ، إنه رجل عزيز ، رجل عز . . يـ . . يز .

بويل : أوه ، لقد أصبح الأمر مؤكدا ، إذن . . مما يدعو إلى الأسف أن أول شيء لم نعمله هذا الصباح هو التوجه إلى هناك فى ميعاد الإفطار — من المحتمل أننا كنا نعمل الآن ؛ بيد أنه لم يكن لديك علم بهـذا الموضوع آنذاك .

چوكسر : [بهزة من كتفيه] خير لنا أن نعلم فى وقته متأخر من ألا نعلم على الإطلاق .

بويل : لقد حان الوقت الذى نبدأ فيه العمل ، على أية حال ؛ فقد سئمت التسكع ، بلا عمل يشغلنى . هل وعدك ؟ — هل أعطاك وعدا صريحا ؟

چوكسر : نعم ، لقـد قال لى : « تعال إلى عندما تنطلق صفارة الفداء ، ولسوف أسلمك عملا ، أنت وأى صديق تود

إحضاره معك . » فقلت له : « آه ،
إنك رجل عزيز ، رجل عز . ي . ز . »

بويل : حسناً ، لقد واتتنا الفرصة فى أنسب وقت — فقد طال انتظارنا لها .

چوكسر : حقا لقد طال انتظارنا ؛ ولكن الدرب الذى يخلو من منعطف يلوح طويلا .

بويل : إن صفارة الغداء تنطلق فى الساعة الواحدة — انتظر حتى أرى كم الساعة الآن .

[يذهب إلى رف المدفأة ثم يرفع المنبه فى حذر]

مسز بويل : كن الآن على حذر وأنت تعبث بهذا المنبه — فأنت تعلم أن أقل شىء يفسده .

بويل : لقد جاء العمل فى أنسب وقت ؛ إننى أحس بأنى فى حالة جيدة ، ياچوكسر . ولا يمكننى أن أصدق أننى كنت أشكو ألما فى ساقى ، فقد كادا يسببان لى الكساح فى الأسبوع الماضى .

چوكسر : هذا أحسن وأحسن ؛ آه ، إن الله لا يوصد بابا إلا ويفتح بابا آخر !

بويل : الساعة الآن الحادية عشرة فحسب ؛ لدينا متسع من الوقت . سوف أرتدى سروالى القطيفة عقب الإفطار ، ومن ثم نستطيع أن نتلكأ إلى هناك على راحتنا . [يضع يده على الجرف] أظن ، ياچوكسر من الأفضل أن يأخذ كل منا مجرفه معه ؟

چوكسر : نعم ، يا كابتن ، نعم ؛ من الأفضل أن نذهب ونحن على أهبة الاستعداد لكل الطوارئ . احضر معك مجرفك ذا المقبض الطويل ولسوف أحضر مجرفى الكحلى . قد لا نحتاج إليهما ، ولكن نعود فنقول إننا قد نحتاج إليهما : فقد ضاع الحذاء من أجل المسمار ، وضاع الفرس من أجل الحدوة ، ومن أجل الفرس ضاع الرجل ، آو ، ياله من مثل عزيز ، مثل ع . . . [حين يوشك چوكسر أن يتم جمله ، تقترب مسز بويل من الباب فيتراجع چوكسر مسرعا . تغلق الباب فى عنف]

بويل : [موعزاً] لن يعود كل منا إلى اصطحاب الآخر حين أشتغل بضعة أسابيع .

[مسز بويل لا تعره اهتماما]

بويل : رئيس العمال فى هذه العملية صديق قديم لجوكسر ؛ وأعتقد أننى أعرفه شخصياً :

[فترة صمت] . . . هناك زرار مقطوع من ظهر سروالى القطيفة . . . إذا تركت لى إبرة وخيطا فسوف أخيطه بنفسى . . . حمدا لله ، فقد سكن الألم الذى كنت أشكو منه فى ساقاى ، على أية حال :

مسز بويل : [وقد ثارت ثائرتها] اسمع ، يامستر چاكى بويل : هذه الحكايات لن تنطلى على چونو . إنى أعرفك أنت وچوكسر دالى منذ زمن طويل ، وإذا كنت تظن أن فى مقدورك أن تستهوينى بمثل هذه الخرافات ، فقد خانك التوفيق .

بويل : [يسعل بخفة لكى يهدئ من حدة الموقف] أو — أو — أو — أوه !

مسز بويل : صديق چوكسر ! سوف يرجى منك نفع كبير ما دمت رفيقا لچوكسر !

بويل : أو — أو — أو — أوه !

مسز بويل : مجرف ! آه ، طبعا ، ياصاحبى ، يطيب لك أن تعمل بالسكين والشوكة أكثر مما تعمل بالمجرف ! أما إذا واتتك مرة فرصة حقيقية للعمل فإنك تفضل أن تسلك الطريق الآخر . . لا تقوى على رفع ذراعيك بسبب الألم الذى فى ساقيك ! إن زوجتك المسكينة تكدح كالجارية لكى تقيم أودك ، بينما تهيم أنت على وجهك طيلة النهار كالطاووس !

بويل : خير للمرء أن يموت ، خير للمرء أن يموت .

مسز بويل : [تتجاهل المقاطعة] الناس جميعا يطلقون عليك اسم « كابتن » على حين أنك لم تعبر البحر سوى مرة واحدة فى مركب قديم لنقل الفحم من هنا إلى ليفربول ، بينما يخالك أى إنسان يستمع إلى حديثك أو ينظر إليك أنك خريستوف كولمبس الثانى !

بويل : ألن تدعينا نستريح أبدا ؟

مسز بويل : أوه ، إنك لا تكلّ مطلقا من السعى وراء الراحة .

بويل : أتريدين طردى من المنزل ؟

مسز بويل : إن طردك من المنزل أهون من حملك على العمل . هيا اجلس وتناول إفطارك — قد يكون آخر إفطار تصيبه ، فلست أدرى من أين يمكننا أن نأتى بإفطار بعد هذا .

بويل : إذا حصلت على هذا العمل فلسوف يصبح كل شيء على ما يرام .

مسز بويل : هل رأيت چرى ديڤين ؟

بويل : [فى تبرم] كلا ، لم أره .

مسز بويل : كلا ، ولكنك رأيت چوكسر . حسناً . لقد كان چرى هنا يبحث عنك .

بويل : حسناً ، دعه يبحث !

مسز بويل : أوه ، حقاً ، فليبحث كيفما شاء ، إذ من المتعذر عليه أن يعثر عليك ، وأنت غارق لأذنيك فى حانة ريان .

بويل : لم أكن فى حانة ريان — لا أتردد على حانة ريان .

مسز بويل : أوه ، هل يوجد كلب مسعور هناك ؟ حسناً ، إذا لم تكن فى حانة ريان فقد كنت فى حانة فولى .

بويل : ليكن معلوماً لديك أننى لم أتذوق قطرة خمر واحدة طيلة الأسابيع الثلاثة الماضية ، ولم أذهب إلى هـذه الحانة أو تلك —

بوسعى أن أقسم على الكتاب المقدس.
بصحة هذا — إننى برىء براءة الجنين.
فى بطن أمه !

مسز بويل : حسناً ، لو جئت قبل ذلك لتناول طعام.
إفطارك لتسنى لك أن تراه .

بويل : [فى ارتياب] فيم يريد أن يرانى ؟

مسز بويل : سوف يعود فى أية لحظة ، وعندئذ سوف
تعلم فى القريب العاجل .

بويل : سأخرج لأرى إذا كان من الممكن العثور
عليـــه .

مسز بويل : فلتجلس وتتناول طعام إفطارك ، ودعنى
أذهب إلى عملى ، فقد تأخرت ساعة من
قبل ، وأنا فى انتظار قدومك .

بويل : لم يكن بك حاجة للانتظار ، إذ أننى لن
أتناول إفطاراً — فلا زالت لدى بقية من
كرامة !

مسز بويل : هل ستتناول إفطارك — نعم أم لا ؟

بويل : [يستبد به الكبرياء فيأبى أن يستسلم] لن.

أتناول إفطاراً — يمكنك أن تحتفظى بإفطارك . [بنعمة حزينة] لا تخشى شيئاً على الإطلاق ، فلسوف أصيب شيئاً من طعام فى مكان ما .

مسز بويل : لن يلح عليك أحد — لا تظن ذلك .

[تعيد المقلاة والسجق بعنف إلى مكانهما فى الخزانة] .

بويل : لا زالت لدى بقية من كرامة .

[يدلف چرى ديشين مسرعاً]

چرى : أوه ، هأنت ذا أخيراً ! فتشت عنك فى كل مكان . لقد أخبرنى رئيس الخدم فى حانة فولى أنه لم تمر عشر دقائق على مغادرتك الحانة مع چوكسر عند وصولى .

مسز بويل : ومع ذلك يقسم على كتاب الصلاة المقدس أنه لم يكن فى حانة من الحانات !

بويل : [مخاطباً چرى] وما شأنك أنت سواء كنت حان أو لم أكن ؟ ولماذا تعدو فى إثرى هنا وهناك ؟ ألا ينبغى للمرء أن يغادر بيته دقيقة واحدة دون أن ينطلق فى أعقابه

حشد من الجواسيس والقوادين والمخبرين ؟

جرى : أوه ، إنك تنظر إلى المسألة نظرة خاطئة ، يا مستر بويل ؛ لقد كان جل همى أن أسدى إليك معروفاً . إننى أحمل إليك رسالة من الأب فاريل ، فهو يبلغك بأنك إذا توجهت إلى العملية الجارى إنشاؤها فى رانمايز ، وسألت عن الملاحظ ماناجان ؛ فلسوف تتسلم عملا .

بويل : هذا حسن ، ولكننى لا أود أن ترصد تحركاتى بالطريقة التى يرصد بها الفلكى نجما من النجوم . وإذا كنت تتعقب مارى بالذات فليس من حقك أن تتعقبنى . [يمسك بفخذه على حين فجأة] آ — آخ ، إن ساقى اليمنى بدأت توخزنى وخزاً شديداً !

مسز بويل : أوه ، لن يمر الآن وقت طويل حتى ينتقل الوخز إلى ساقك اليسرى . من العجيب أنه كلما اشتم رائحة عمل يواتيه ، تبدأ ساقاه تخذلانه ! أما إذا فاتتك هذه الفرصة ،

يا صاحبي ، فعليك أن تتولى أمر نفسك !

جرى : فضلا عن أن هذا العمل سوف يدوم بعض الوقت ، يا كابتن ، وما إن ترسى الأساسات حتى يصبح العمل مريحاً بدرجة كافية

بويل : ألن يكون عملا يتطلب الصعود على السلم ؟ وكيف تتوقع منى أن أقوى على صعود السلم بهاتين الساقين ؟ وحتى إذا تمكنت من الصعود فكيف لى أن أهبط ثانية ؟

مسز بويل : [فى خبث] فلتطلب من أحد العمال أن يهبط بك فى قصعة ! إنك لا تقوى على صعود سلم . ولكنك تستطيع أن تثب فى خفة العنزة إلى حانة من الحانات !

جرى : لو كنت مكانك لما استسلمت لليأس بمثل هذه السهولة ، يا مستر بويل ؛ إن قليلا من التمرينات الرياضية تمارسها الآن قد تنفعك نفعاً بالغاً .

بويل : كان يجب أن تحترف الطب يا ديفين —

ألا يحتمل أن تكون أعلم بآلام ساقاى
منى أنا صاحب الشأن ؟

چرى : [مغتاظاً] أوه ، لست أعلم شيئاً عن آلام
ساقيك ؛ لقد نقلت رسالة الأب فاريل ،
وهذا هو كل ما يمكننى عمله .

مسز بويل : تعال ؛ اجلس وتناول إفطارك ، ثم
اذهب واستعد ؛ وكف عن التمثيل كما
لو كنت عاجزاً عن شد جناح نحلة ميتة .

بويل : لقد قلت لك إننى لا أريد إفطاراً ؛
فلسوف أصاب بغصة فى حلقى بعد كل
الذى قيل . لازالت لدى بقية من كرامة .

مسز بويل : حسناً ، دعنا نرى كرامتك إذن ، وادخل
الغرفة على الفور وارتدى سروالك
القطيفة !

بويل : [يتجه ناحية الباب الذى إلى اليسار] خير للمرء
أن يموت ! آ ــ آخ ! هناك وخز آخر
فى ساقى الثانية ! ما من أحد سواى يعلم
مدى العذاب الذى أعانيه من جراء هذه
الآلام التى فى ساقاى !

[يدلف إلى الغرفة التى إلى اليسار بينما تخرج مارى ممسكة بقبعتها فى يدها]

مسز بويل : علىّ أن أسرع الآن ، فقد تأخرت كثيرا ، ولكننى كنت مصممة على أن أبقى وأتصيد ذلك الجوكسر هذه المرة : [تنصرف] .

چرى : هل أنت منصرفة ، يا مارى ؟

مارى : يبدو علىّ ذلك مادمت أرتدى قبعتى ، أليس كذلك ؟

چرى : لقد عدت إلى لهجتك الحادة مرة ثانية ، يا مارى .

مارى : إنك لا تعطينى الفرصة لأن أكون على علاقة ودية معك ؛ فما إن أحاول من جهتى ، حتى تعمد إلى إساءة فهم هذه العلاقة .

چرى : لم أسىء فهم هذه العلاقة قط ، بل كثيرا ما كانت السعادة تغمرك حين

كان چرى يحيطك بساعديه :

ماری : إذا استمريت فى مثل هذا الحديث ، فلسوف تجعلنى أمقتك ، يا چرى ديڤين.

چرى : حسناً ، فلتكن إما حفل عرس أو حفل جناز ! انتبهى إلىّ يا ماری ، إننى مرشح لسكرتارية الاتحاد ، وما من منافس أمامى سوى شخص واحد فقط ؛ إن الرجال كلهم يحبوننى ، فضلا عن أننى خطيب بارع — والكل يجمعون على أننى سأنتخب .

ماری : حسناً !

چرى : إن دخل هذه الوظيفة يبلغ ثلاثمائة وخمسون جنيها فى السنة ، يا ماری . وهو مبلغ يمكن أن نعيش به سويا فى يسر وهناء ؛ ولسوف يخلصك من هذا المكان و . . :

ماری : ليس لدى الآن متسع من الوقت

للاستماع إليك — ينبغى علىّ أن أذهب.

[تهم بالانصراف بينما يسد جرى طريقها] .

جرى : [متوسلا] مارى ، ما الذى طرأ على
: سلوكك نحوى فى الأسابيع القليلة الماضية ؟
إنك لا تكادين تتحدثين إلىّ ، فإذا
ما تحدثت ألقيت إلىّ بكلمات مقتضبة
مريرة . هل نسيت يا مارى ، كل
الأمسيات الهانئة التى كانت حلوة كتلك
الشجيرات المعطرة التى كانت تكتنف
جوانب الطريق ونحن نتجول فى أنحاء
الريف ؟

مارى : لقد انتهى كل شىء الآن . وحينما تحصل
على وظيفتك الجديدة ، يا جرى ، لن
يطول بك الوقت حتى تهتدى إلى فتاة
أفضل منى تتخذها حبيبة لك .

جرى : أبدا ، أبدا ، يامارى ! مهما حدث لن
يتغير شعورى نحوك قط .

ماری : يجب أن أنصرف ؛ أرجوك يا چرى ، دعنى أذهب .

چرى : سأقطع معك شوطاً من الطريق :

ماری : لا داعى لذلك ، أشكرك ؛ إننى أريد أن أكون بمفردى .

چرى : [يمسك بذراعها] إنك ذاهبة للقاء رجل آخر ؛ لقد وقعت فى غرام شخص آخر ، يا سيدتى !

ماری : ليس هذا من شأنك ، يا چرى ديڤين ، دعنى أذهب !

چرى : لقد أبصرتكما وأنتما خارجان من « صالة رقص كورنفلور » ، وكنت أنت متعلقة بذراعه — شخص أفاق أهيف هزيل ، يمسك عصا وقفازا فى يده !

صوت چونى : [فى صوت عال] ماذا تفعل هناك — وأنت تعبث فى كل شىء !

صوت بويل : [فى شراسة وبصوت مرتفع] إننى أرتدى سروالى القطيفة !

مارى : إنك تؤلم ذراعى ! دعنى أذهب ، وإلا صرخت ، وحينئذ سوف يباغتنا صاحبنا العجوز .

چرى : لا تعامليني بمثل هذه القسوة ، يا مارى ، لا تكونى قاسية إلى هذا الحد .

بويل : [يظهر عند الباب] ما معنى كل هذه الضجة ؟

مارى : دعنى أذهب ، دعنى أذهب !

بويل : هل تسمعاننى — فيم كل هذه الضجة ؟

چرى : [فى أسى] ألن تجودى علىّ بكلمة طيبة ، كلمة واحدة طيبة ، يا مارى ؟

بويل : هل تسمعاننى وأنا أتحدث إليكما ؟ علام كل هذه الضجة ؟

چرى : دعينى أقبل يدك ، يدك الرقيقة الصغيرة البضة !

بويل : يدك الرقيقة ، الصغيرة البضة — هل أخذت أجازة من عقلك ، يا رجل ؟

[تنفلت مارى وتخرج مهرولة]

بويل : هذه والله أعمال طيبة فى وجود أبيها !

جرى : آه ، اخرس أنت ، بربك !

[يخرج فى إثر مارى]

بويل : إن الأبناء الآن لا يبالون قيد أنملة بذويهم ، بل توشك الحسرة التى يجلبها الأبناء لآبائهم الشيب أن تودى بهم إلى حتفهم ، وهم مع ذلك يهزأون بهم . آه ، أعتقد أن هذه هى الحال فى كل مكان — العالم بأسره فى حالة فوضى ! [يجلس بجوار المدفأة] إفطار ! حسناً ، يمكنهم أن يحتفظوا بإفطارهم الذى أعدوه من أجلى . لن أتناوله حتى ولو جثوا على ركبهم أمامى — ولسوف أبرهن لهم على أنه ما زال لدى بقية من كرامة !

[يتوجه إلى الخزانة . يتناول وعاء ثم ينظر إليه]

سجق ! حسناً ، فلتحتفظ بسجقها :

[يعود إلى المدفأة ، يتناول إبريق الشاى ثم يرجه بلطف] لا زال الشاى نديا بما فيه الكفاية .

[فترة صمت ، ينهض ، يتجه إلى الخزانة ،

يتناول السجق ويضعه فى المقلاة ، ثم يضعهما على النار . يقلب السجق بإحدى الشوك] .

بويل : [يغنى] :

حينما تعود طيور الحناء إلى الأوكار ،
وتينع الأزهار ،
حينما يلوح أن ابتسامة الربيع المشرقة ،
قد بددت كل الأسى والهموم ؛
حينئذ يعود فتاى البشوش ذو العينين
الزرقاوين ،
إذا كان قلبى لا زال مخلصا —
فقد عاهدنى على أنه سيعود إلىّ ،
حين تعود الطيور إلى الأوكار !

[يرفع رأسه حينما يصل إلى هذه النغمة العالية ، ثم يخفض بصره وهو ينظر إلى المقلاة] .

بويل : [يغنى] :

حينما تـ . . .

[يسمع وقع خطوات تقترب ؛ يرفع المقلاة من على النار بسرعة ويضعها تحت السرير ،

ثم يجلس عند المدفأة . يفتح الباب ويطل منه رجل ملتح وهو يقول] :

ألست فى حاجة إلى ماكينة حياكة ؟

بويل : [فى شراسة] كلا ، لست فى حاجة إلى ماكينة حياكة !

[يعيد المقلاة على النار ، ثم يطفق يغنى مرة ثانية]

بويل : [يغنى] :

حينما تعود طيور الحناء إلى الأوكار ،
وتينع الأزهار ،
سوف . . .

[تسمع طرقة مدوية على الباب الخارجى]

بويل : هذه طرقة عنيفة — لا بد وأن يكون الطارق غريباً — ليس من أهل البيت .

[طرقة أخرى عالية]

چوكسر : [يطل برأسه من الباب] هل سمعت هـذه الطرقات ؟

بويل : حسناً ، يا چوكسر ، لست أصما .

چونى : [يظهر عند الباب الذى إلى اليسار مرتدياً قميصه

وسروله ، يشيع فى وجهه القلق ، وترتعش نبرات صوته] من ذا الذى بالباب ؟ من ذا الذى بالباب ؟ من الطارق ؟ هل تسمعاننى ؟ هل أنتما ثملان أم أصابكما الصمم ، أم ماذا دهاكما ؟

بويل : [محاضاً چونى] تباً لك ، أنّى لى أن أعرف من الطارق ؟ چوكسر ، طل برأسك من النافذة واستطلع الأمر .

چوكسر : أليس من المحتمل أن تصيبنى رصاصة فى وجهى ؟ آه ، لن تنطلى مثل هذه الحيل على چوكسر ! خير لى أن أكون جباناً من أن أكون جثة هامدة !

بويل : [يطل من النافذة فى حذر] إنه شخص يرتدى سترة الميدان .

چونى : أيتها العذراء الطاهرة ، يا أم الرب ، إننى . . .

بويل : إنه ينصرف — لا بد أنه كلّ من كُرة الطرق .

[يعود جوك إلى الغرفة التى إلى اليسار]

بويل : اجلس يا جوكسر . وتناول قدحاً من الشاى .

جوكسر : إنى أخشى أن تباغتنا السيدة مرة ثانية قبل أن نحتاط للأمر . إن شيئاً ما يوحى إلى بأن أنصرف على الفور .

بويل : لا تعتقد فى هذه الخرافات ، يارجل ! إننا رجال من أهل دبلن ، ولسنا صبية وافدين توا من مستنقع آلن — على أنها لو حضرت فى هذه اللحظة لأصبحنا كالفئران فى المصيدة .

جوكسر : خاصة وأنك تعلم أى نوع من النساء هى — إنها تأبى الاستماع إلى جادة العقل — والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

بويل : [متجها إلى النافذة التى إلى الخلف] إذا تأزمت الأمور ، ففى مقدورك أن

تمرق من هنا ، يا چوكسر ؛ فما هى إلا بضعة أقدام تقفزها حتى تصبح فوق سقف الغرفة المقابلة ، وفى اللحظة التى تدخل فيها چونو الغرفة الثانية سوف أعطيك إشارة ، وإذ ذاك يمكنك أن تتسلل إلى الداخل ثم إلى خارج الشقة .

چوكسر : [يستسلم للإغراء] آه ، لن أمكث طويلا على أية حال .

[يلتقط كتاباً من فوق المنضدة] كتاب من هذا ؟

بويل : وى ، كتاب من كتب مارى ؛ فقد دأبت على القراءة منذ عهد قريب — أشياء كلها من سقط المتاع . كنت ألقى نظرة على أحد هذه الكتب يوماً من الأيام فوجدت ثلاث قصص : بيت الدمية ، والأشباح ، والبطة البرية — كتب لا تصلح إلا للأطفال فقط !

چوكسر : هل قرأت « إليزابيث » أو « منفى سيبريا » ؟ آه ، يالها من قصة عزيزة ، قصة عز . . يـ . . يزة !

بويل : تناول نصيبك من السجق ، ولا تشغل بالك بـ « منفى سيبريا » .

[يجلسان ؛ بويل يملأ أقداح الشاى : ثم يصب بعض الصلصة على طبق چوكسر ، ويحتفظ لنفسه بالسجق] .

چوكسر : لم ارتداؤك السروال القطيفة ؟

بويل : يتعين علىّ أن أذهب لأتسلم عملا ، يا چوكسر : فقد جاء ديڤين يعدو عقب انصرافك مباشرة لكى ينبئنا بأن الأب فاريل أبلغه بأننى إذا توجهت إلى العملية الجارى إنشاؤها فى راثماينز لسوف أتسلم عملا .

چوكسر : هذه ، والله ، أنباء طيبة !

بويل : فيم هى أنباء طيبة ؟ إنى لأتساءل : لو أنك كنت تعانى مثل حالتى ؛

أكنت تسمى هذه أنباء طيبة ؟

چوكسر : إننى حسبت . .

بويل : حسبت ! إنك تتسرع فى تفكيرك بعض الأحيان ، يا چوكسر . ألا تعلم أننى لا أكاد أقوى على السير من جراء الألم الذى أحس به فى ساقاى !

چوكسر : فعلا ، فعلا ، لقد نسيت الألم الذى فى ساقيك . إنى أعلم أنه ليس فى مقدورك أن تؤدى أى عمل حين يلازمك هذا الألم .

بويل : لقد غاب هذا عن بالك ، ولست أظن أن أحدا منكم يدرك حقيقة الحالة التى تنتابنى بسبب هذه الأوجاع التى تصيب ساقاى . ماذا عساه يحدث لو أننى اضطررت إلى حمل غرارة من الأسمنت ؟

چوكسر : آه ، إن أى إنسان يعانى مثل هذه الآلام يصبح لا محالة عاجزا ، لا محالة عاجزاً .

بويل : لم أكن لأهتم لو أن جرى أفضى بهذا الكلام لى شخصياً ؛ ولكن لا ، أوه ، لا ، إنه يدخل مسرعا ويجهر به بأعلى صوته أمام چونو ، وأنت لا تخفى عليك طباع چونو ، يا چوكسر . كلنا يعلم أن مدارك ديڤين أوسع بعض الشىء من مداركنا ، ولكن أفعاله لا تدل على هذا ؛ ما من شك فى أنه ولد طيب ، واع ، أوتى مقدرة على الخطابة وما إلى ذلك ، بيد أنه . . .

چوكسر : أوه آى ؛ بارع فى النقاشات[1] ، ولكن مع ذلك . . .

بويل : إذا كان يتعقب مارى بالذات ، فلن أمكّنه من أن يتعقبنى . إن كابتن بويل يستطيع أى يرعى شئونه بنفسه ؛

---

(١) يقصد المناقشات وهى محاولة للإبقاء على سوء استخدام چوكسر للتعبير الإنجليزى فى الأصل . (المترجم)

فلست ممن تربوا فى أحضان العز ،
على أية حال . إننى لم أسمعه يسبّ
أحداً قط . ولا أخاله قد ثمل مرة
واحدة فى حياته . من المؤكد أنه
لا يمثل إنسانا عاديا على الإطلاق !

چوكسر : لقد كانت هذه الجملة على طرف
لسانى — فالإنسان العادى طبيعى فى
تصرفاته ، ولكنه غير طبيعى .

بويل : من شابه أباه فما ظلم — فقد كان
أبوه من أهالى ويكلو .

چوكسر : من أهالى ويكلو ! هذه الحقيقة تفسر
الأمر كله . لقد صادفت فى شبابى كثيراً
من أهالى ويكلو ، ولكننى لم أصادف
من بينهم شخصاً صالحا على الإطلاق .

بويل : لقد قال لى : « الأب فاريل أرسلنى
لإبلاغك » . الأب فاريل ! هل تعلم
يا چوكسر ، أننى لا أحب أن أكون

مدينا بفضل لأحد من القساوسة فى
يوم من الأيام .

چوكسر : هذا خطر ، ما فى ذلك شك .

بويل : إذا أدّوا أية خدمة لك ، طمعوا فى
أن تقضى حياتك فى الكنيسة . . .
سأفضى إليك بشىء ، يا چوكسر ،
لا أرضى أن أفضى به إلى أى شخص سواك
— إن القساوسة يسيطرون دواما وأكثر
مما ينبغى على الناس فى هذا القطر التعس .

چوكسر : إن هذه أنشودة جدير بك أن تغنيها ،
إذا توفر لها اللحن المناسب !

بويل : [يشتعل حماسا] ألم يحولوا دون استيلاء الناس
على القمح وهم يموتون جوعا سنة ١٨٤٧ ،
ألم يخذلوا پارنل[1] ؛ ألم يفتوا بأن

---

(١) يعتبر من أقوى الزعماء الأيرلنديين الذين كانوا يمثلون وجهة النظر التى تطالب بالحكم الذاتى لأيرلندا ، وقد توفى سنة ١٨٩١ . (المترجم)

سعير جهنم لا يكفى لعقاب جماعة الفينيان[1]
ولو خلدوا فيه أبدا ؟ لن تعزب عن
عن بالنا ، لن تعزب عن بالنا هذه
الأشياء ، يا چوكسر . وإذا كانوا قد
حرمونا كل شيء ، يا چوكسر ، فقد
تركوا لنا ذاكرتنا .

چوكسر : [بلهجة عاطفية] ذلك أن الذاكرة هى
الصديق الوحيد الذى يستطيع الأسى أن
يسميه صديقاً ، الذى يستطيع . . .
الأسى . . أن يسميه . . صديقاً !

بويل : لقد أخذ الأب فاريل يولى الكابتن بويل
اهتماما كبيرا ؛ وقد صرح لى يوماً من
الأيام بأن التفضل فى هذا الاهتمام يرجع
إلى ما بذله چونى فى سبيل وطنه .

---

(١) تكونت سنة ١٨٦٣ بغرض الكفاح من أجل تأسيس جمهورية أيرلندية مستقلة . وتعنى كلمة الفينيان « الأبطال » باللغة الأيرلندية القديمة . (المترجم)

إنها طريقة عجيبة أن يكافئ جونى
بإيجاد عمل لأبيه العجوز المسكين ، غير
أن هذا هو ما يبغيه القساوسة ،
يا جوكسر — عمل ، عمل ، عمل من
أجلى ومن أجلك ؛ يريدوننا أن نشقى
كالبغال من الصباح إلى المساء حتى يمكن
أن تنتعش أحوالهم إذا ما جاءوا إلينا
يحجاون مطالبين باستحقاقاتهم ! عمل !
حسنا ، دعه يهب هذا العمل لواحد من
إخوانه المنشدين أو المرتلين ، أو الضاربين
بأكفهم على صدورهم تظاهرا بالورع !

[يسمع صوت بائع كتل من الفحم وهو يترنم
فى الشارع] .

صوت بائع الفحم : الكتل .. كتل الفحم ! الكتل : . .
كتل الفحم !

جوكسر : رحم الله تلك الأيام الخوالى حينما كنت
تسير فوق سطح سفينة ضخمة ، والرياح

تعصف من خلال الصوارى ، بينما لا يطرق سمعك إلا صوت واحد يقول : « أدر دفتك ناحية اليسار ! » ولا تسمع إلا إجابة واحدة : « لقد أديرت يا سيدى ! »

بويل : لقد كانت أيام ، يا جوكسر ، لقد كانت أيام ! لم أكُ أشكو من حر أو إرهاق حينذاك ، وأنا أجوب البحار من خليج المكسيك إلى المحيط الجنوبى . لقد رأيت أشياء ، رأيت أشياء ، يا جوكسر ، لا يجدر بالمؤمن الحق أن يتحدث عنها . وكثيرا ما كنت أثبت نفسى بعجلة القيادة بواسطة وتد صغير ، والريح تزأر والأمواج تتلاطم وتتلاطم ، حتى ليدخل فى روعك أن كل لحظة ستكون فيها نهايتك ، والريح تهفّ وتهفّ ، — تهبّ هى اللفظ

الصحيح ، يا چوكسر ، ولكن « تهف »
هى اللفظ الذى يستخدمه البحارة . .

چوكسر : آو ، إنها كلمة عزيزة ، كلمة
عز . . يـ . . يزة !

بويل : وبينما كانت « تهف » و « تهف » ،
كثيرا ما كنت أتطلع إلى السماء وأطرح
على نفسى هذا السؤال : ما هى النجوم ،
ما هى النجوم ؟

صوت بائع الفحم: هل من كتل ؟ كتل الفحم ؛ الكتل ،
كتل الفحم !

چوكسر : آه ، تلك هى المسألة ، تلك هى المسألة ـ
ما هى النجوم ؟

بويل : ومن ثم تحين منى التفاتة أخرى ،
وأتساءل : ما هو القمر ؟

چوكسر : آه ، تلك هى المسألة ـ ما هو القمر ،
ما هو القمر ؟

[يسمع وقع خطوات سريعة متجهة نحو الباب ـ بويل يبذل جهوداً مستميتة لإخفاء كل الأشياء ؛ يندفع جوكسر إلى النافذة فى محاولة جنونية للخروج منها ؛ يطلق بويل يترنم فى براءة « أوه ، حبيبتى چنى ، لسوف أكون وفيا لك » ، عندما يفتح الباب ويلوح خلاله الوجه المسود لبائع الفحم] .

بائع الفحم : أو تريدون أية كتل ؟

بويل : [يزأر] كلا ؛ لسنا فى حاجة إلى أية كتل !

جوكسر : [يعود وهو يتنفس الصعداء] لقد خلع قلبى — كان من الممكن أن أقسم على أنها چونو . من الأفضل أن أنصرف ، يا كابتن ؛ فمن العسير أن تعرف اللحظة التى سوف تباغتنا فيها چونو .

بويل : دعها تباغتنا ؛ فلا بد من حسم الأمور بيننا سواء فى بادئ الأمر أو فى آخره . لقد قر رأيى — ان أكون رهن مشيئتها فحسب .

چوكسر : هذه الآراء تزيد من قيمتك ، ياكابتن ؛ حقيقة أنني لا أود أن أوقع بين رجل وزوجته ، ولكني أقول بصفتي صديقا ، صديقا حميما ياكابتن ، أنك قد تحملت فوق طاقتك ، وأن الوقت قد حان لكي تظهر شيئاً من البأس :

كيف يتسنى للمرء ميتة أفضل من الموت
في مجابهة الأخطار المحدقة ،
يذود عن آثار أسلافه ومعابد الآلهة ؟

بويل : إن لها حقوقها — ما من أحد ينكر هذا ، ولكن أليست لي حقوق كذلك ؟

چوكسر : لك حقوق بطبيعة الحال ، حقوق الرجل المقدسة !

بويل : چوكسر ، لسوف أصدر اليوم مرسوما بتأسيس جمهورية مستقلة ، ولسوف يتعين على چونو أن تقسم يمين الولاء :

چوكسر : كن حازما ، كن حازما يا كابتن ،

سوف تكون الدقائق القليلة الأولى هى
أسوأ ما فى الأمر : إذا لمست نباتا شوكيا
برقة ولطف ، فلسوف يلسعك شوكه
وتحيق بك الآلام ؛ أما إذا أطبقت عليه
يدك بقبضة فتى ذى بأس ، فلسوف
يصير ناعما كالحرير !

صوت چونو فى الخارج : لا أستطيع الدخول يا مسز ماديجان —
فليس لدى دقيقة واحدة !

چوكسر : [يولى هارباً خارج النافذة] يالله ، هاهى ذى !

بويل : [يرص الأشياء بسرعة فى الخزانة] كنت أعلم
أن هذا الإنسان سوف يمكث هنا حتى
تباغتنا !

[يجلس على مقربة من النار . تدلف چونو على
عجل ، يسودها القلق والاضطراب] .

چونو : أوه ، أنت هنا فى البيت — أو لم يمض
وقت طويل على مجيئك ؟

بويل : كلا ، لم أغادر البيت على الإطلاق .

چونو : من العجيب إذن ألا تكون قد سمعت الطرق بالمرة .

[تضع معطفها وقبعتها على الفراش] .

بويل : طرق ؟ لقد سمعت الطرق بالطبع .

چونو : ولماذا لم تفتح الباب ، إذن ؟ أعتقد أنك كنت منهمكا جداً مع چوكسر لدرجة أنك لم تجد لديك متسعا من الوقت .

بويل : لم يقع بصرى على چوكسر منذ آخر مرة رأيته فيها . چوكسر ! وما الذى أتى بچوكسر إلى هنا ؟

چونو : أو تعنى أن تقول لى إنكما لم تتهامسا مع بعضكما هنا عندما أوليت ظهرى لكما ؟

بويل : فيم عسانا نتهامس مع بعضنا ؟ إن لدى أشياء أخرى تستحوذ على تفكيرى إلى جانب الهمس مع چوكسر . إن بوسعى أن أقسم على جميع كتب الصلوات المقدسة بأنى . . .

مسز بويل : بأنك لم تكن فى حانة ! هيا إلى الداخل فورا واخلع عنك سروالك القطيفة هذا ، ثم ارتدى ياقة وربطة عنق لكى تصلح من هيئتك بعض الشىء . ثمة زائر مقبل مع مارى فى ظرف دقيقة واحدة ، وهو يحمل إليك أنباء عظيمة .

بويل : عملٌ ، على ما أعتقد ؛ دعنا نحصل على العمل الأول قبل أن نأخذ فى البحث عن عمل آخر .

مسز بويل : هذا هو الشىء الذى يهلع له فؤادك : حسن . إنه ليس عملا ، بل أنباء! سوف تمنحك فرصة العمر .

بويل : فيم كل هذا الغموض ؟

مسز بويل : ادخل واخلع السروال القطيفة كما قلت لك !

[يدخل بويل الغرفة التى إلى اليسار . مسز بويل تنسق الغرفة ، تدس المجرف تحت السرير ، ثم تتجه إلى الخزانة] .

مسز بويل : أوه ، يا إلهى ! أنظر كيف تناثرت كل الأشياء ! أوه ، لقد كان چوكسر هنا ، لقد كان چوكسر هنا !

[تدلف مارى مع تشارلى بنتام ؛ وهو شاب فى حوالى الخامسة والعشرين من عمره ، فارع الطول ، حسن الهيئة ، مغرور فى نفسه بوجه عام . يرتدى سترة بنية ، وسروالا بنيا ، وجوربا رماديا ، وصديريا بنيا من الصوف ، وربطة عنق ذات لون أزرق داكن . يحمل فى يده قفازا وعصا] .

مسز بويل : [منهمكة] تفضل ، يا مستر بنتام ؛ اجلس يا مستر بنتام على هذا الكرسى ؛ إنه مريح أكثر من ذاك ، يا مستر بنتام . سوف يحضر زوجى فى ظرف دقيقة ؛ فهو يخلع سرواله .

مارى : أماه !

بنتام : أرجوك ألا تكلفى نفسك أى مشقة ، يا مسز بويل — أنا مرتاح هنا ، شكراً لك . .

مسز بويل : تصور أنك تعرف مارى ، وتصور أن مارى على علم بالأنباء التى جئت تحملها إلينا ، ولكنها لم تشأ أن تبوح بها ، بيد أننا نرحب الآن بهذه الأنباء أكثر من ذى قبل ، إذ أن معيننا كاد ينضب !

صوت چونى فى الداخل : فيم كل هذه الضجة التى تحدثها ؟

بويل : [بخشونة] إننى أخلع سروالى القطيفة !

چونى : ألا تستطيع أن تعمل ذلك دون أن تدع البيت كله يعلم أنك تخلع سروالك ؟ ماذا تبغى من وراء ارتدائه ثم خلعه ثانية ؟

بويل : هل تسمح بأن تدعنى وشأنى ، هل تسمح بأن تدعنى وشأنى ؟ أو لن أنتهى أبدا من محاولة إرضائى لكم جميعاً .

مسز بويل : [مخاطبة بنتام] أرجو أن تعذرنا للحالة التى عليها المكان ، يا مستر بنتام ؛ ففى

اللحظة التى أدير فيها ظهرى يخيل زوجى هذا المكان دائما إلى كومة من القمامة ، يحيله إلى كومة من القمامة .

بنتام : لا تنزعجى ، يا مسز بويل ؛ فالأمر على ما يرام ، أؤكد لك .

بويل : [فى الداخل] أين حمالة سروالى ؛ أين تركت حمالتى ، بالله عليكم ؟ ... آى ، هل تعلم أين وضعت حمالتى ؟

چونى : [فى الداخل ، منادياً] أماه ، أرجو أن تجيئى إلى هنا وتصطحبى أبى خارج الحجرة وإلا أفقدنى صوابى .

مسز بويل : [متجهة نحو الباب] يا سلام ، يا سلام ، يا سلام ، لسوف يأخذ هذا الرجل فى البحث عن شىء ما يوم القيامة .

[تظل داخل الغرفة وتوجه حديثها إلى بويل فى صوت مرتفع] انظر إلى حمالتك ، يا رجل ، وهى تتدلى حول عنقك !

بويل : [فى الداخل] آو ، يا لله !

مسز بويل : [منادية] چونى ، چونى ، تعال إلى هنا لحظة واحدة .

چونى : آه ، دعى چونى وشأنه ، ولا داعى لإزعاجه !

مسز بويل : تعال ، يا چونى ، حتى أقدمك لمستر بنتام [مخاطبة بنتام] ولدى ، يا مستر بنتام ؛ إنه لا زال حدثا ؛ ولم يك إلا صبيا فى الكشافة أثناء « أسبوع عيد الفصح » حينما أصيب فى ردفه ؛ أما ذراعه فقد نسف فى القتال الذى دار فى شارع أوكونل . [يلتفت چونى] هاهو ذا ، يا مستر بنتام ؛ مستر بنتام ، چونى . ما من أحد يستطيع أن ينكر أنه قد أدى واجبه نحو أيرلندا ؛ إذا كان فى هذا أى نفع له .

چونى : [بفخر] إنى على استعداد للقيام بذلك

مرة ثانية ، يا أماه ، إنى على استعداد للقيام به مرة أخرى ؛ ذلك أن المبدأ هو المبدأ .

مسز بويل : آه ، لقد خسرت خير مبادئك ، يا ولدى ، حين فقدت ذراعك ؛ فهو النوع الوحيد من المبادئ الذى يرجى منه أى نفع للعامل .

چونى : لن يقر قرار لأيرلندا قط وهى لم تستكمل حريتها بعد ، وطالما بقى على أرضها ابن يقوى على حمل السلاح .

مسز بويل : بالتأكيد ، بالتأكيد — فلئن تبيّن على الطوى خير لك بكثير من الحصول على نصف رغيف . [مناداة لبويل فى صوت مرتفع] هل لك فى أن تسرع ؟

[يدلف بويل مرتديا أحسن سروال لديه ؛ وإن لم يكن فى حالة جيدة ؛ يلوح عليه أنه يضيق ذرعاً بياقته وربطة عنقه] .

مسز بويل : هذا هو زوجي ، مستر بويل . مستر بنتام .

بنتام : آه ، تشرفنا ، يامستر بويل . كيف حالك ؟

بويل : آه ، لست بخير على الإطلاق ؛ إنني أعاني أشد العناء من جراء ألم في ساقي : تستطيع چونو أن تنبئك بما . . .

مسز بويل : سوف تزول أوجاعك الكثيرة من ساقيك حين تستمع إلى الأنباء التي سوف يفضي بها إليك مستر بنتام .

بنتام : چونو ! ياله من اسم مثير للاهتمام ! إنه يعيد إلى ذهني إحدى قصص هوميروس المجيدة التي تدور حول الآلهة والأبطال الغابرين

بويل : نعم ، أليس كذلك ؟ لقد ولدت چونو وعمدت في يونيو ، والتقيت بها في يونيو ، ثم تزوجنا في يونيو ، ورزقنا بچوني في يونيو ، ولذلك قلت لها ذات يوم :

« كان ينبغى عليك أن تسمى باسم چونو » ومن ثم لازمها هذا الاسم منذ ذلك الحين .

مسز بويل : اسمع ، بوسعنا أن نعاود الحديث عن هذه الأشياء ؛ دع مستر بنتام يقضى الآن بما لديه .

بنتام : حسنا ، يا مستر بويل ، أظن أنك تذكر شخصا يدعى مستر إليسون يقيم سانترى — إنه أحـــد أقاربك ، على ما أعتقد .

بويل : [فى شراسة] هل هو ذلك المخاتل المماطل ! أذكره بالطبع .

بنتام : حسنا ، لقد مات ، يا مستر بويل . . .

بويل : لن يأسف الكثيرون على فراقه .

مسز بويل : انتظر حتى تسمع ما لدى مستر بنتام من قول ، وقد تغير رأيك حينذاك .

بنتام : لقد أرسل فى طلبى قبل وفاته بأسبوع لكى يملى على وصيته . وقد أبلغنى بأنه لا يود أن يترك أملاكه إلا لشخصين فقط : ابن عم أبيه ، مايكل فينجان المقيم فى سانترى ، وجون بويل ابن عمه المقيم فى دبلن .

بويل : [فى اضطراب] أنا ، هل هو أنا ، أنا ؟

بنتام : أنت يا مستر بويل ، سوف أقرأ عليك صورة من الوصية فى حوزتى الآن ، وقد أودعت الوصية ، كما جرت العادة ، إحدى ملفات محكمة الإشهاد .

[يخرج ورقة من جيبه ثم يطالع] :

السادس من فبراير سنة ١٩٢٢.

هذه هى الوصية والوثيقة الأخيرة لوليام إليسون المقيم فى سانترى ، من أعمال مقاطعة دبلن . بناء على هذا أقر وأوصى بأن تباع ممتلكاتى وتقسم على النحو التالى :

٢٠جنيها لجمعية القديس فينسنت دى پول ؛
٦٠ جنيها أجر صلوات تقام على روحى
(خمسة شلنات عن كل قداس) توزع
بقية أملاكى مناصفة بين ابن عمى وابن
عم أبى .

وعليه ، قد وقع اختيارى على تيموثى
بكلى المقيم بسانترى ، وهيو برايلى المقيم
بكوولك بصفتهما منفذين لوصيتى هذه ؛

(الإمضاء) وليام إليسون

هيو برايلى

تيموثى بكلى

تشارلز بنتام ، ن . ت .

بويل : [فى لهفة] وما هو المبلغ الذى سوف
يعود علينا من هذه الوصية ، يا مستر
بنتام ؟

بنتام : لقد أبلغنى المنفذان للوصية أن نصف
الممتلكات يساوى مبلغا يتراوح ما بين
١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ جنيه ؛

ماری : ثروة ، يا أبى ، ثروة !

چونى : فى مقدورنا الآن أن ننتقل من هذه الشقة ، ونذهب إلى مكان ما لا يعرفنا فيه أحد .

مسز بويل : لن تضطر إلى أن تزعج نفسك بالبحث عن عمل ردحا من الزمن ، يا چاك .

بويل : [بحرارة] لن أشك فى رحمة الله بعد اليوم أبدا .

بنتام : أهنئك ، يا مستر بويل . [يتصافحان]

بويل : والآن يا مستر بنتام ، سوف تتناول شربة .

بنتام : شربة ؟

بويل : مشروبا ، كأسا ، قدحاً !

مسز بويل : چاك ، إنك تخاطب مستر بنتام ، لا چوكسر .

بويل : [فى وقار] چونو . . مارى . . چونى ؟؟

يجدر بنا أن نرتدى ملابس الحداد فى الحال . . . لم أكن أتوقع أن يقضى بيل المسكين نحبه بغتة بهذه الكيفية . . حسن ، كل نفس ذائقة الموت يوما من الأيام : : أنت من السابقين ، يا چونو ، اليوم . : وأنا ، قد أكون من اللاحقين غدا . . إنه أمر مؤسف . . ولكن لا حيلة لنا فيه . . فليرحمه الله : . أو على حد تعبير لغتنا القديمة ، لغة القديس باتريك أو القديس بريدچت ، « چه سايبرا چيبا أيبرا ! »[1]

ماری : أوه ، يا أبى ، ليس هذا معناه « فليرحمه الله » ؛ بل « حفظ الله أيرلندا » .

بوبل : أووه ، ليس هناك فارق — أو ليست كلها دعوات ؟ . . . چونو ، لقد

---

(١) تحريف لعبارة باللغة الأيرلندية القديمة معناها « حفظ الله أيرلندا » . (المترجم)

انتهى ما بيني وبين چوكسر ؛ فهو ليس إلا مخاتل مما . . .

چوكسر : [ينفذ متسللاً من خلال النافذة ، وقد اشتاط غضباً . ثم يقفز داخل الغرفة] لقد انتهى ما بينك وبين چوكسر ، أليس كذلك ؟ لعلك حسبت أنني سأظل فوق السقف طيلة الليل إكراماً لك ! لم يكن يهمك أنت وصاحبك ذو الياقة ورباط العنق أمر چوكسر وهو قابع فوق السقف تعصف به الرياح !

مسز بويل : ما الذي جاء بك فوق السقف ، باسم الرب . وماذا كنت تفعل هناك ؟

چوكسر : [متهكما] كنت أحلم بأنني واقف في برج المراقبة لسفينة من السفن وهي تمخر عباب المحيط الجنوبي ، والريح « تهفّ » و « تهفّ » ، وأنا أتطلع إلى

السماء متسائلا ، ما هى النجوم ، م
النجوم ؟

مسز بويل : [تفتح الباب وتقف على مقربة منه]
هيا ، اغرب عن هنا ، يا چوكسر
دانى ؛ كنت أعتقد دائماً أن بعقلك
خلل .

چوكسر : [يتجه نحو الباب] كان الضحك يغالبنى
فى كل مرة أنظر فيها إلى ملاح أعالى
البحار ؛ وهو الذى يصاب بدوار البحر
لو خرج يجدف فى قارب على النهر !

بويل : اغرب عن هنا قبل أن أرتكب حماقة
دون أن أبالى بشىء !

چوكسر : [يهم بالخروج] أقول إلى اللقاء وليس
وداعا . يبحث عن عمل ويدعو الله
ألا يحصل عليه ! [يخرج]

مسز بويل : لقد مللت من كثرة تعريفك بحقيقة

چوكسر ؛ ولعلك قد تبينت بنفسك
الآن أى نوع من الرجال هو .

بويل : لن يقاسمنى الشراب بعد اليوم مرة ثانية ،
هذا أمر مؤكد . چونى . . مارى . .
فلتتجنبا مخالطة أحد فى المستقبل . چونو ،
لقد انتهى الأمر بينى وبين چوكسر ::
إننى إنسان آخر من الآن فصاعدا . : :

[يمسك بيد چونو ، ويغنى فى حرارة] :
أى حبيبتى چونو : سأكون وفيا لك ؛
شريكة حياتى ،
حبيبتى چونو ، أنت العالم بأسره
بالنسبة لى .

[ستار]

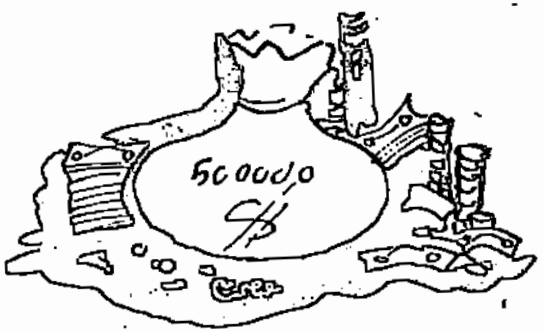

الفصل الثانى

[نفس المنظر ، غير أن قطع الأثاث أوفر عددا و طابع سوق . مقعد كبير وأريكة مكسوان بكساء زاه ؛ وصور فوتوغرافية رخيصة قد علقت فى كل مكان . كل بقه قد زينت بزهريات ضخمة مليئة بالأزهار الصناعية . أحبال للزينة على هيئة سلاسل من الورق الملون تمتد من طرف سقف إلى نهايته . حقيبة قديمة كتلك التى يحملها الدبلوماسيون موضو المنضدة . الساعة حوالى السادسة مساء بعد مرور يومين على الأول . بويل مرتديا قميصه ومضطجعا فى استرخاء على الأر يدخن عليونا من الفحار . وهو شبه نائم . مصباح موة المنضدة . بعد فترة صمت تستمر بضعة لحظات يسمع . جوكسر فى الخارج على مقربة من الباب وهو يغنى بصوت خ « لسوف أدخن غليونى ؛ بينما أسوق حمارى — أو أنت مور . . ى . . آر . . ى . . ق ! »].

بويل : [يهب واقفاً ، يتناول قلما فى يده ثم فى بضعة أوراق] تعال ، يا چوَ تعال ، يا بنى .

چوكسر : [يطل برأسه] هل أنت بمفردك ؟

بويل : تعال ، تعـال . ليس ذلك بأمر ذى بال ، فأنا سـيد البيت الآن ؛ وسأظل سيداً . [يدلف چوكسر] .

چوكسر : ما هو شعورك الآن كرجل من رجال المال ؟

بويل : [فى وقار] إنها مسئولية ، يا چوكسر ، مسئولية خطيرة .

چوكسر : أعتقد أنها كذلك فى الوقت الحاضر ، ولو أنها لم تكن لتخطر ببالك .

بويل : چوكسر ناولنى تلك الحقيبة الدبلوماسية التى فوق المنضدة هناك . [چوكسر يناوله الحقيبة] لقد مرت علىّ مئات الوثائق منذ أن نفذت الوصية — ولذلك يجب على الإنسان أن يكون متقد الذهن . [ينهمك فى بضعة أوراق]

چوكسر : حسنا ، لن أزعجك . سوف أم
عليك عند ما . . .

بويل : [بسرعة] لا عليك . يا چوكسر ، فهذ
هى آخر ورقة يتعين علىّ أن أمهر
اليوم بإمضائى . [يوقع على ورقة ، ويد
فى الحقيبة التى يغلقها بحدق فرقعة ، ثم يع
الجلوس على المقعد فى تماطل] والآن ياچوكسر
إنك تود أن ترانى . فى خدمتك — م
يمكن أن أفعل من أجلك ، يا صديق

چوكسر : لقد أحضرت معى الآن مبلغ الثلا
جنيهات ونصف التى حصلت ع
مسز ماديجان نظير رهن البطاط
والمنضدة من أجلكم ، وهى تقو
إنه لا داعى لأن تتعجلوا فى سداد المبا

بويل : لن يطول انتظارها قبل أن تسترد
إننى أتوقع وصول الشيك الأول الذ
تبلغ قيمته مائتين من الجنيهات بين

وآخر . هاك خمسة شلنات من أجلك
هيا ، خذها ، يا رجل ؛ لن تكون
آخر نقود تحصل عليها من الكابتن .
حقيقة أننا نختلف فيما بيننا من آن لآخر ،
ولكننا على وفاق معاً طيلة الوقت .

چوكسر : أنا لك ، وأنت لى ، مثل الفارسين[1] .

بويل : لقد استوقفنى اليوم الأب فاريل وعبر لى
عن سروره لتلك الثروة المفاجئة التى
هبطت علىّ .

چوكسر : سوف يستوقفك الآن كثيراً ؛ أخاله
كان يناديك باسم مستر بويل ؟

بويل : لقد صافحنى بيده . . .

چوكسر : [متهكماً] لقد قابلت ناپر تاندى ،
وصافحنى بيده !

بويل : إنك نادرا ما تشتط فى القـــول ،

---

(١) يشير إلى رواية الفرسان الثلاثة . (المترجم)

يا چوكسر ، ولكن التوفيق قد
هذه المرة . إن ما تقوله عن الأب ،
يكاد يبلغ حد الكفر . لا أحب أن
أحد الأب فاريل بسوء .

چوكسر : لقد أسأت فهمى يا كابتن ، فأنا لا
لنفسى بأن أتفوه بكلمة واحدة ضد
فاريل — فهو من خيرة الناس ،
ذلك شك ، لقد كنت أقول دائ
رجل عزيز ، رجل عز . . . يـ .

بويل : بينما كنت أرقى الدرج من تظ
سوى هذا العاطل ، نبوچنت ، الذى قال
لى وهو يكشر عن أسنانه « لقد رأيتك
وأنت تتحدث إلى الأب فاريل ، لسوف
يتبعك كملاكك الحارس من الآن فصاعدا »
— ولم تفارق الكشرة التقليدية وجهه طيلة
الوقت ، يا چوكسر .

چوكسر : لم يقع عليه بصرى مرة من المرات

إلا وهذه الكشرة التقليدية تعلو وجهه !

بويل : فقلت له : « مستر نيوچنت ، إن الأب فاريل أحد رعاة الشعب ، وعلى حد معرفتى بتاريخ بلادى ، كان القساوسة دائماً فى مقدمة الكفاح من أجل تحرير أيرلندا . »

چوكسر : [فى حماس]
من الذى قاد الطليعة ، يا عزيزى القس ؟
منذ فجر الكفاح ، يا عزيزى القس ؟

بويل : فأردف يقول : « عمن تتحدث ؟ ألم يخذلوا جماعة الفينديان ، وألم يخدعوا پارنل ؟ والآن . . . » فقلت مقاطعا ، « يجدر بك أن تخجل من نفسك لجهلك بتاريخ بلادك » ، ثم تركته فى مكانه وقد فغر فاه .

چوكسر : إذا كان الجهل نعمة فمن الحماقة أن تكون حكيما ؛ هل اطلع على كتاب « قصة أيرلندا » يا ترى !

بويل : تأليف ج . ل . ساليمان ؟ ألا تعلم أنه لم يطلع عليه .

چوكسر : آه ، إنه كتاب عزيز ، كتاب عز . . يـ . . يز !

بويل : من الأفضـــل أن تتصرف الآن ، يا چوكسر ، فإن صاحب الجلالة ، السيد بنتام ، سوف يحضر الآن فى أية لحظة من اللحظات .

چوكسر : إن ظواهر الأمور تدل على أن ثمة زواجا سوف يتم بينه وبين ماری . لقد نبذت چری كلية . حسن . أتمنى أن يتم الزواج ، إذ أن بنتام رجل عزيز .

بويل : إننى مسرور إذ ترى هذا الرأى — ولكنى أرى غير ذلك . [فى حنق] فيم هو عزيز ؟

چوكسر : [مرتبكا] لم أره سوى مرتين فحسب ؛ إذا أردت أن تعرفنى فتعال وعاشرنى .

بويل : إن حذلقته أكثر مما أحتمل – إذا سمعته يتحدث تخاله قد أوتى من العلم نصيب الأنبياء المرسلين . لقد تخلى عن مهنة التدريس ، وهو بصدد احتراف المحاماة فى دبلن – ذلك أنه لا زال متوفرا على دراسة القانون . أظنه يعتقد أننى سوف أعينه على شق طريقه فى هذا المجال ، لكنه واهم . أما الشخص الآخر ، جرى ، فليس بخير منه . كلاهما يسبب لك امتعاضا إذا أصغيت إليهما ؛ فجرى لا يؤمن بشىء ، بينما بنتام يؤمن بكل شىء . أحدهما يقول بأن الله هو كل شىء وأن الإنسان لا شىء ؛ والآخر يقول إن الإنسان هو كل شىء والله لا شىء .

چوكسر : حسنٌ ، سأنصرف الآن .

بويل : لا تنس أن تمر علينا بعد قليل ؛

فلسوف نتناول كأساً فى هدوء ، وننشد أغنية أو أغنيتين .

چوكسر : لا تخف قط .

بويل : وبلّغ مسز ماديجان أملنا فى أن نستمتع بصحبتها فى حفلنا المتواضع :

چوكسر : وهو كذلك ، سوف نتزل معا :

[ينصرف . يخرج چونى من الحجرة التى إلى اليسار ويجلس مكتئبا بجوار المدفأة . يصوب بويل نظره إليه لبضع لحظات ، ثم يهز رأسه . ويحشو غليونه] .

صوت چونو عند الباب: افتح الباب ، يا چاك ، لقد كاد هذا الشيء يقتلنى من فرط ثقله ،

[يفتح بويل الباب . تدلف چونو وهى تحمل علبة جراموفون ، تتبعها مارى وهى تحمل البوق وبعض الأقفاف . تضع چونو العلبة فوق المنضدة ثم ترتمى على أحد المقاعد] .

چونو : ليس هزلا أننى جئت أحمل هذا الجراموفون من شارع هنرى .

بويل : أو — و — ووه ، إنه جهاز عظيم المنظر — كم بلغ ثمنه ؟

چونو : لقد دفعت جنيها تحت الحساب ، وباقى خمسة جنيهات سندفع منها شلنين كل أسبوع .

بويل : هذا سعر معقول للغاية .

چونو : إننى أخشى أن نكون قد تمادينا فى الاستدانة ، فقد ابتعنا الأثاث أولا ، ثم هذا الجراموفون حالياً .

بويل : ان تتعدى جملة المشتريات مبلغ ألفين من الجنيهات .

مارى : لست أدرى ماذا تبغون من وراء شراء الجراموفون — إننى أعلم أن تشارلى ينفر من الجراموفونات ؛ فهو يقول إنها متلفة للموسيقى الأصلية :

بويل : متلفة للموسيقى — هذا الشخص سوف يجلب لك الغم . كل ما يحتاجه الجراموفون هو أن يدار كما يجب ؛ إنك لا تشعرين بسحره الحقيقى إلا إذا كان كل شىء

: هادئاً من حوله — إن ما يحتاجه الجراموفون هو الهدوء التام !

ماری : ولكن چرى يردد نفس القول ، يا أبتاه ؛ على أية حال ، إنك لا تستطيع أن تقدر الموسيقى إلا إذا كانت أذنك مدربة تدريبا سليما .

بويل : وهذا هو شخص آخر سوف يجلب لك الغم . مدربة تدريباً سليما ! أظن أنك لا تستطيعين أن تقدرى كرة القدم ما لم تكن قدماك مدربتين تدريباً سليما .

مسز بويل : [مخاطبا مارى] هيا ادخلى واستبدلى ملابسك ، وإلا دخل عليك تشارلى فجأة دون أن نكون قد أعددنا الشاى أو خلافه .

[تدخل مارى الحجرة التى إلى اليسار] .

مسز بويل : [تعد المائدة استعداداً للشاى] أو لم تلق نظرة على الجراموفون الجديد الذى اشترياه ، يا چونى ؟

چونى : ليست الجراموفونات هى التى تشغل تفكيرى .

مسز بويل : وما الذى يشغل تفكيرك ، يا عزيزى ؟

چونى : لا شىء ، لا شىء ، لا شىء .

مسز بويل : لا ريب فى أنك تفكر فى شىء ، إنك أنت سبب الحالة التى تعانيها ؛ تقضى ليلة فى بيت أختى ، ثم تقضى ليلة أخرى فى بيت عملك — إنك لن تذق طعم الراحة بهذه الكيفية .

چونى : لا أستطيع الراحة فى أى مكان ، فى أى مكان ، فى أى مكان .

مسز بويل : بالتأكيد ، لأنك لا تحاول أن تستريح فى أى مكان .

چونى دعونى وشأنى ، دعونى وشأنى ، دعونى وشأنى ، بالله عليكم .

[تسمع طرقة على الباب الخارجى] .

مسز بويل : [فى اضطراب بالغ] هاهو ذا مستر بنتام !

بويل : حسنا ، لدينا مكان له ؛ من المؤسف

أنه لا توجد فرقة موسيقية لاستقباله .

مسز بويل : سوف ندير عليكم الشاى ، فلا تتزاحموا هكذا حول المنضدة ، كما لو كنا لم نر شيئاً قط .

[يسمع وقع خطوات تقترب ، تفتح چونو الباب وتأذن لبنتام بالدخول] .

چونو : ناول قبعتك وعصاك لخاك ، حسنٌ .. تفضل بالجلوس يا مستر بنتام . . كلا ، ليس هناك . . فى المقعد الكبير بجوار المدفأة . . نعم ، هذا أفضل . سوف تأتى مارى فى ظرف دقيقة .

بويل : [برزانة] لقد قرأت فى الجريدة هذا الصباح أن القنصليد[1] قد هبط سعره بمقدار نصف فى المائة . ليكن فى علمكم أن هذا الأمر خطير ، ويدل على أن البلد بأسرها فى حالة فوضى .

---

(١) صكوك دين الحكومة البريطانية التى أصدرت سنة ١٧٥١ . (المترجم)

مسز بويل : وما هو القنصليد ، يا چاك ؟

بويل : القنصليد ؟ أوه ، القنصليد هو — أوه ، ليس ثمة فائدة من شرح معنى القنصليد للنساء — إذ لن يقدروا على فهمه . .

بنتام : تماما كما قلت ، يا مستر بويل . . .

[تدلف مارى ، فى ثوب خلاب]

بنتام : أوه ، مساء الخير ، يا مارى ، كم تبدين جميلة !

مارى : [بخبث] حقيقة ؟

بويل : لقد كنا نتجاذب أطراف الحديث حينما جئت ، يا مارى ، كنت أقول لمستر بنتام إن البلد كلها فى حالة فوضى .

مارى : [مخاطبة بنتام] هل تفضل الشريط الأخضر أم الأزرق حول شعرى ، يا تشارلى ؟

مسز بويل : مارى ، إن أباك يتحدث .

بويل : [بسرعة] كنت أقول لمستر بنتام الآن إن البلد كلها فى حالة فوضى .

مارى : إننى على يقين أنك متبرم ، يا أبى ، سواء كانت الدنيا فى حالة فوضى أم لم تكن .

مسز بويل رغم كل ما أوتينا من كنائس وأديان ، لم يتحسن العالم قيد شعرة .

بويل : [بحركة آمرة] الشاى !

[توزع مارى ومسز بويل الشاى]

مسز بويل : فضلا عن أن أيرلندا تحاول أن تحاذو حذو العالم ؛ حينما كنا نسنّ القوانين الخاصة بنا حسبت أننا لن نتوقف أبدا لنلتفت إلى الوراء ، ولكن بدلا من ذلك لم نتوقف إطلاقا لكى نتطلع إلى الأمام ! لو أن النـــاس اتبعوا أوامر دينهم لسنحت لنا فرصة أفضل فى الحياة — ما رأيك يا مستر بنتام ؟

بنتام : أخشى ألا أجسر على الإدلاء برأى فى هذا الموضوع ، يا مسز بويل ؛ فلست ممن تستهويهم الديانات .

مسز بويل : لقد غاب عن بالى أنك لا تشاركنا الرأى : ما هذا الذى قلت إنك تدين به ؟

بنتام : إننى تيوصوفى ، يا مسز بويل .

مسز بويل : وماذا عساه يكون التيوصوفى ، بالله عليك ؟

بويل : التيوصوفى يا چونو هو الـ . . . أخبرها ، يا مستر بنتام ، أخبرها .

بنتام : من الصعب أن أشرح لك الأمر فى بضع كلمات : فالتيوصوفية مبنية على الڤيداس ، أى كتب الشرق المقدسة . وهى تقوم أساسا على وجود روح سائدة فى الكون — هى نفحة الحياة . وما من شىء موجود فعلا سوى هذه النفحة الحية السائدة ، أما الأشياء التى قد تبدو بمعزل عن نفحة الحياة هذه فليس لها وجود فى الحقيقة على الإطلاق . هذه الروح هى مصدر كل القوة الكامنة فى الإنسان ، وفى الحيوانات

جميعا ، وفى النباتات طرا . وهذه النفحة الحية تعرف باسم البراونا .

مسز بويل : البراونا ! ياله من اسم مضحك !

بويل : براونا ، نعم ، البراونا .

[يصفر فى رفق] هذه هى البراونا !

مسز بويل : صه ، صه ، يا چاك .

بنتام وتتوقف سعادة الإنسان على مشاركته لهذه الروح . أما هؤلاء الذين وصلوا إلى مرتبة عالية من السمو فيعرفون باسم جماعة اليوجا[1] . وقد يصبح البعض من جماعة اليوجا خلال زمن وجيز ، وقد يستغرق البعض الآخر ملايين من السنين .

بويل : اليوجا ! لقد شاهدت مئات منهم فى شوارع سان فرنسيسكو .

---

(١) اليوجا فلسفة صوفية شرقية . (المترجم)

بنتام : تقول جماعة اليوجا هذه إننا إذا مارسنا تمرينات عقلية معينة ، تمنح قدرات لا تتوفر للآخرين — مثل القدرة على رؤية الأشياء التى تحدث على بعد أميال وأميال .

مسز بويل : لا أبالى بأن يكون لى شأن بهذا النوع من العقائد ؛ فهى ديانة عجيبة برمتها .

بويل : ما وجه العجب فيها ؟ أليست كل الديانات عجيبة ؟ — وما لم تكن بهذا الشكل لما وجدت أحـــدا من الناس يعتنقها . بيد أن الديانات تنقرض هذه الأيام — فقد ولى زمانها شأن غيرها من الأشياء . خذ على سبيل المثال أهل دبلن الحقيقيين : تجدهم يعرفون عن تشارلى تشابلن وتومى ميكس أكثر مما يعرفون عن القديس بطرس والقديس بول !

مستر بويل : ألا تعتقد فى وجود الأشباح ، يا مستر بنتام ؟

مارى : ألا تعلمين أنه لا يعتقد فى ذلك يا أماه ؟

بنتام : لست متأكدا من ذلك ، يا مارى ، فإن العلماء بدأوا يعتقدون أن بعض الأشخاص الذين يتميزون بطبيعة معينة يمكنهم رؤية ما نسميه بالأشباح . ويقول هؤلاء العلماء إن الأفعال الحسية المثيرة ، مثل قتل شخص ما ، تتطلب طاقة عظيمة ، ومن ثم تكمن تلك الطاقة فى المكان الذى جرى فيه هذا الحدث . ومن المحتمل أن يعيش بعض الناس فى هذا المكان دون أن يروا شيئاً حتى يتصادف مجيء شخص يتميز بأن يكون بين شخصيته وبين الطاقة الكامنة فى هذا المكان صلة خاصة ، فيرى الأمر كله فى لمح البصر :

چونى : [ينهض على عجل ، وقد بدا عليه الشحوب والتأثر]
أى ضرب من الحديث هذا الذى
تتمادون فيه ؟ أو ليس ثمة موضوع خير
من الحديث عن اغتيال الناس ؟ يا لله ،
أو ليس فى وقوع هذه الأحداث ما يكفى
من السوء دون أن تتحدث عنها !
[يهرع إلى الغرفة التى إلى اليسار] .

بنتام : أوه ، أنا جد آسف ، يا مسز بويل ؛
فلم أحسب قط . .

مسز بويل : [فى لهجة اعتذار] لا عليك ، يا مستر
بنتام ، فهو شديد الحساسية .

[تسمع صيحة رعب يطلقها چونى من الداخل] .

مسز بويل : يا أم الرب ، ما هذا ؟ [يندفع إلى
الخارج مرة أخرى ، يغشى وجهه الشحوب ،
وترتجف شفتاه ، وترتعد فرائصه] .

چونى : اغلقوا الباب ، اغلقوا الباب ، بسرعة ،
أستحلفكم بالله ! أيها الرب العظيم ،

أدركنى برحمتك ! يا أم الرب المباركة ،
اشمليني بحمايتك ؛ اشملى ابنك بحمايتك !

مسز بويل : [تطوقه بذراعيها] ما خطبك ؟ ماذا ألمّ بك ؟ اجلس ، اجلس ، هنا ، على الفراش . . هدئ من روعك . . . هدئ من روعك .

مارى : چونى ، چونى ، ماذا دهاك ؟

چونى : لقد رأيته ، رأيته . . وهو راكع أمام التمثال . . أيها اليسوع الرحيم ، حنانيك !

مسز بويل : [مخاطبة بويل] أحضر له كأساً من الويسكى . . أسرع ، يا رجل ، ولا تقف هكذا فاغر الفم !

[بويل يحضر الويسكى] .

چونى : اجلسى هنا ، اجلسى هنا ، يا أماه . . بينى وبين الباب .

مسز بويل : سوف أجلس بجانبك طالما رغبت فى .

ذلك ، ولكن خبرنى ما هذا الذى
اعترض سبيلك ؟

چونى : [بعد أن يتناول بعض الشراب] لقد رأيته . .
لقد رأيت روبى تانكرد وهو جاث أمام
التمثال . . . وقد سطع عليه الضوء
الأحمر . . . وحينما دخلت . . . التفت
إلىّ وحدجنى بنظراته . . . ثم أبصرت
جراحه فى صدره وهى تنزف دما . .
أوه ، لماذا رمقنى بنظراته هكذا ؟ لست
مسئولا عن اغتياله . . . فلتقصيه عنى ،
يا أم الرب !

مسز بويل : هون عليك ، هون عليك ، يا بنى ،
لقد كان الأمر كله ضرب من الوهم .
لم يكن ثمة شىء على الإطلاق — فلم
تبصر سوى الضوء الأحمر ، أما بقية
الأشياء ، فقد أدخلها فى روعك ذلك
الحديث الذى تبادلناه . تناول مزيداً من

هذا الشراب – فلسوف يكون فيه نفع لك . . . والآن ، استلق على الفراش بعض الوقت . [مخاطبة بويل] ادخل ، يا چاك ، وبرهن له على أن الأمر لم يك له وجود سوى فى مخيلته .

بويل : [دون أن يتزحزح] إ – إ – إ – إ – إه ؛ إن المسألة كلها هراء ؛ لم يكن ما رآه سوى طيف .

مارى : يا أم الرب ، لقد جعل قلبى يقفز من مكانه !

بنتام : إن هذا يرجع ببساطة إلى خيال بالغ الاضطراب – وهذه الحالة تنتابنا جميعا بعض الأحيان .

مسز بويل : هيا ، يا عزيزى ، استلق على الفراش ، ولسوف أشد عليك «اللحاف» . . . إيه ، هكذا . . . ولسوف تصبح سليما معافى خلال بضع دقائق .

چونى : أماه ، ادخلى الغرفة وانظرى ما إذا

كان النور مضاء أمام التمثال .

بويل : [مخاطباً مارى] مارى ، ادخلى وانظرى ما إذا كان النور مضاء أمام التمثال .

[تتردد مارى فى الدخول] .

بنتام : لا عليك ، يا مارى ، سوف أذهب أنا .

[يدخل الغرفة ؛ يمكث فيها بضع دقائق ، ثم يعود]

بنتام : كل شىء كما كان تماما — والضوء مشتعل فى أمان أمام التمثال .

بويل : طبعا ، كنت أعلم أن الأمر كله هراء .

[تسمع طرقة على الباب] .

بويل : [يذهب لكى يفتح الباب] إيه .

[يفتح البـاب فيدلف چوكـر تتبعه مـز ماديجان . وهى امرأة نشطة صغيرة الجسم تناهز الخامسة والأربعين من عمرها ؛ غالبا ما تعلو وجهها ابتسامة عريضة تنم عن الشعور بالرضى عن نفسها . كما أنها امرأة فى مقدورها أن تنوح مع النائحين وتبتهج مع المبتهجين . وحينما تكون هانئة البال تميل إلى أن تجتر ذكرياتها ، وحين يتفوه الآخرون بشىء أو تفرغ من

حديث لها ، تلازمها عادة الميل برأسها قليلا إلى أحد الجانبين ثم الإيماء بها بسرعة عدة مرات على التوالى شأن عصفور ينقر حبة جافة بمنقاره . والواقع أن فيها الشيء الكثير من العصفور ، إلا أنها ليست مفردة بفطرتها كالعصافير ، فضلا عن أنها جاهلة ، فظة ، وقحة ، وإن كانت مع ذلك طيبة القلب . ومثالا على هذا أنها تقدم على مد يد المساعدة إلى طفل جارتها المريض ؛ حقيقة أنها قد تتسبب فى قتل الطفل ، غير أنها كانت تنوى شفاءه ؛ وخلاصة القول أنها تيدو على سجيتها وهى تساعد حوذيا على رفع حصان قد تعثر . وهى ترتدى ثوبا رمادى اللون متسخاً قليلا و « بلوزة » أرجوانية زاهية ؛ تضع فى شعرها مشطا ضخما تزينه حبات كبيرة الحجم من الخرز الملون . تدلف فى خطوات متأنية ؛ ترتسم على وجهها ابتسامة مشرقة وهى تومئ برأسها . يستقبلهما بويل استقبالا حافلا] .

بويل : تفضلى يا مسز ماديجان ؛ تفضلى ؛ خشيت ألا تحضرى . . . [فى خبث] هناك من الناس من يستطيع انتقاء الثياب ،

أليس كذلك ، يا چوكسر ؟

چوكسر : مليح كالزهر اليانع فى الربيع ، وحلو كرائحة العشب الندى . . . آه ، يليق بها أن ترتدى هذه الثياب .

مسز ماديجان : [تتجه بنصرها نحو مارى] إننى أعلم أن البعض مليح كأزهار الربيع اليانعة — أوه ، دون ذكر أسماء ، دون ذكر أسماء !

بويل : والآن سوف أقدمكما إلى خطيب مارى : مستر بنتام ، هذه هى مسز ماديجان ، جارة قديمة تقطن فى الغرفة التى تقع خلف غرفة الجلوس ، وهى لا تتوانى عن تقديم يد المساعدة لأى إنسان ما استطاعت إلى ذلك سبيلا !

بنتام : [ناهضاً وهو يحاول مصافحة مسز ماديجان] إننى بالتأكيد جد مسرور بمعرفتك ، يا مسز ماديجان .

مسز ماديجان : أؤكد لك يا مستر بنتام أنك سوف تجد فى مارى فتاة من أجمل ما رأيت

فى حياتك ؛ فهى ليست كبعض الفتيات اللائى يشبهن الدمى المتأنقة واللائى يتسكعن بحثـــا عن الرجال على حين أنهن يستحققن الصنع على وجوههن . إنى أذكر ، كما أذكر البارحة تماما ، اليوم الذى ولدت فيه — يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ من يونيه سنة ١٩٠١ فى الساعة الواحدة وثلاث وثلاثين دقيقة فى وضح النهار حسب ساعة حانة فولى التى تقع عند ناصية الشارع . وكان اليوم بارداً كذلك بالنسبة لذلك الفصل من فصول السنة ، وإنى لأذكر أننى قلت لچوكسر وقد التقيت به وهو يرقى الدرج ، إن المولودة الجديدة لآل بويل سوف تشب طفلة صلبة العود إذا قدر لها أن تعيش ، وأنها سوف تصبح يوماً من الأيام شيئاً لا يخطر على بال أحد ، وأن هناك من السمات ما يدل على ذلك . وها هى

ذى اليوم . على وشـــك أن تتزوج
بشاب يبدو وكأنه يليق لتبوأ أى مركز
فى الحياة يشاء له الله أن يتبوأه !

بويل : [فى لهجة تفيض بالعاطفة] اجلسى ، يا مسز
ماديجان ، اجلسى ، يا صديقتى الحميمة .
[مخاطبا بنتام] هذا هو چوكسر دالى ، الرئيس
السابق لجماعة « عود البرسيم العزيز الغالى »
الأيرلندية الوطنية لحراس الغابات ، وهو
جار قديم يقطن فى الغرفة الأمامية ،
بالدور العلوى ، لم يتسرب اليأس إلى
نفسه قط حتى فى أحلك الأيام التى مرت
بها محنة أيرلندا .

چوكسر : لا تدع لليأس مجالا ، يا كابتن ، لا تدع
لليأس مجالا .

بويل : اجلس ، يا چوكسر ، اجلس . كثيراً
ما جمعت بيننا المحن .

مسز بويل : نعم ، فى حانة فولى !

چوكسر : وخرجنا منها فى سرعة البرق ، وخرجنا منها فى سرعة البرق ، يا كابتن .

بويل : والآن فلنتناول شرابا — إننى على يقين أنكم لن تردوا طلب صديق قديم .

مسز ماديجان : [مخاطبة چونو] أوليس چونى بخير يا مسز . . .

مسز بويل : [محذرة] صه .

مسز ماديجان : أوه ، هذا الفتى المسكين !

بويل : حسنا ، يا مسز ماديجان ، هل لك فى تناول بعض الشاى ، أم ماذا تطلبين ؟

مسز ماديجان : حسنا ، أما عن نفسى ، فقد تناولت الشاى المعتاد منذ لحظة واحدة ، وأخشى أن أتناول كمية أخرى — فإن صحتى تتأثر دائماً حين أتمادى فى شرب الشاى . شكراً لك ، على أية حال ، يا مستر بويل .

بويل : حسنا ، وما رأيك فى زجاجة من الجعة أو جرعة من الويسكى ؟

مسز ماديجان : أظن أن زجاجة من الجعة سوف لا تتحملها معدتى كثيراً بعد الشاى . . . آ ــ آ ــ آه ، لسوف أجرب كأسا من الويسكى .

[بويل يعد الويسكى] .

مسز ماديجان : ليس ثمة ما يوازى كأسا من الويسكى من حين لآخر ــ ولكن من الخير عدم الإفراط فيه . [مخاطبة بويل الذى يضيف بعض الماء إلى كأسه] آه ، يا لله ، يا جونى ، لا تضيف إليه كثيراً من الماء ! [تحتسى الويسكى] أعتقد أنكم سوف تنتقلون من هذه الشقة .

بويل : إننى أبحث عن شقة على مقربة من البحر ؛ ذلك أننى أود أن يكون قبرى هو نفس المكان الذى يمكن أن تعتبرى

أنه كان مهدى . فإن البحر يناديني على الدوام .

چوكسر : إنها تنادى ، تنادى ، تنادى ، فى مهب الريح وفى عرض البحر .

بويل : هل لك فى جرعة أخرى من الويسكى ، يا مسز ماديجان ؟

مسز ماديجان : حسن ، الآن من العسير أن يرفض المرء بعد أن عرف ما يخبئه القدر من أوقات مريبة .

بويل : [بحركة آمرة] أغنية ! . . . چونو . . . مارى . . . « عودة إلى جبالنا » !

مسز ماديجان : [فى حماس] مرحى ، مرحى !

چوكسر : أوه ، هذه أغنية عزيزة . أغنية عز . . يـ . . يزة ! .

مارى : [فى خجل] آه ، لا يا أبى ؛ لست على استعداد للغناء .

مسز ماديجان : هيا ، يا طفلتى ، إنك على وشك

الزواج ؛ إنى أذكر كما أذكر البارحة تماما — كانت أمسية من أمسيات أغسطس الجميلة ، إذا حسبنا تاريخها بالضبط وجدنا الثلاثاء الذى يلى الثلاثاء القادم يوافق مرور خمسة عشر عاما عليها ، حينما كان فتاى — رحمة الله عليه — وأنا جالسين معاً على استحياء فى ركن شاعرى صغير يقع على طريق ربنى على مقربة من حانة « الحواجز » ، فقال لى : « سوف يخدش هذا جيدك البض الحلو الصغير » ، قالها وهو يمسك بعود متدلٍّ من شجرة من أشجار العليق حوى مجموعات من أجمل الأزهار التى وقعت عليها أعينكم ، ثم كسر العود بطريقة تعمد أن يسقط بها ذراعه وكأنه سقط عفوا ، حول خصرى . وكلما أحسست بذراعه يضغط ويضغط ويضغط كلما شعرت بأن فؤادى يوشك

فى كل لحظة أن يصدح بأغنية رخيمة تدور حول :

" الأوراق الصغيرة الخضراء التى تهتز فوق الأشجار ، والفراش الحائم ، وطنين النحل ! "

بويل : التزموا النظام من أجل الأغنية !

چونو : هيا ، يا مارى ، سوف نبذل ما فى وسعنا .

[تقف چونو ومارى ، وبعد أن تختارا وضعا مناسباً تغنيان ، عودة إلى جبالنا ، فى لهجة طبيعية . تنحنيان تحية للحاضرين ، ثم تعودان إلى مكانيهما]

بويل : [فى لهجة عاطفية عقب انتهاء الأغنيـة] . يا ملهم . . . الراحة !

چوكسر : [يصفق بيديه] براڤو ، براڤو ! يالكما من فتاتين عزيزتين ، فتاتين عز..يـ..يزتين !

مسز ماديجان : چونو ، إننى لم أرك فى أجمل من هذه الصورة قط .

بنتام : لقد أحسنتما أداءها فعلا .

مسز ماديجان إنه نداء نبيل للعودة ، نداء نبيل ! .

مسز بويل : لقد جاء دورك ، يا مسز ماديجان .

[بعد قليل من التمنع ، تنهض مسز ماديجان ، ثم تنشد الأغنية التالية فى صوت مرتعش] :

لو كنت شحرورا لأخذت فى الصفير
والغناء ؛
ولطرت فى إثر السفينة التى فيها حبيبى
الذى أكن له الوفاء ؛
وفوق أعلى حبل من حبال السفينة ،
لسوف أبنى عشى ،
وأجعل بالليل من صـــدر حبيبى
« ويلى » البض فرشى !

[يخشوشن صوتها ، وسط التصفيق ، فتعاود الجلوس] .

مسز ماديجان : آه ، إن صوتى أجش الآن ، ياچونو ؛
رغم أننى أذكر اليوم الذى كانت فيه

مازى ماديجان تستطيع أن تغرد كالبلبل وقت الانسجام مع أليفه . إنى أذكر كما أذكر البارحة تماما ، أننى حضرت وليمة أقيمت احتفالا بمولد أول طفل لآنى وبنى چايمسون — الذى كان يعمل حلاقاً ، ربما تذكرونه ، فى شارع هنريتا ، والذى رفع علما ذا لون أخضر وأبيض وبرتقالى[1] ، وكان ذلك عقب ثورة « أسبوع عيد الفصح » ، فلما شرع ذوو الأردية البنية[2] يرقصون رقصة الجاز الخاصة بهم ، استل العلم ورفع بدلا منه علما ذا لون أحمر وأبيض وأزرق ، وهو يبرر سلوكه بأن العلم

---

(١) لون العلم الأيرلندى .

(٢) « ذوو الأردية السمراء والبنية » الذين أرسلهم الإنجليز سنة ١٩٢٠ ، لكى يحلوا محل البوليس الأيرلندى أثناء احتدام الثورة ضد انجلترا . وكان هؤلاء الرجال فى غاية الشراسة والجبروت .
(المترجم)

الذى يرفعه الحلاق ليس له شأن بالسياسة بتاتاً — حينئذ أنشدت أغنية « فلتذكرنى » وأنا أرعش طبقات الصوت العالية متدرّجة بها إلى صمت مطبق مذهل ، أعقبه تصفيق كانت تهتز له أقداح الشراب الموضوعة على المنضدة ، وقد توج كل هذا چايمسون الحلاق بقوله : إن أدائى كان أحسن أداء لأغنية « فلتذكرنى » سمعه طيلة حياته !

بويل : [فى لهجة حازمة] النظام من أجل أغنية چوكسر !

چوكسر : آه كلا ، لا أستطيع ؛ لا تطلب منى ذلك ، يا كابتن .

بويل : أغنية چوكسر ، أغنية چوكسر — أنشد لنا إحدى أغانيك التى تؤديها وأنت مغمض العينين .

[يستوى چوكسر فى مقعده ، يتناول شرابا ؛ يتنحنح ؛ يغمض عينيه فى رزانة ، ثم يطفق يغنى فى صوت غاية فى النشاز] .

إنها بعيدة عن البلاد ' التى ينام فيها فارسها الشاب ،

والعاشقون من حولها يتأوهون [يتردد]

والعاشقون من حولها يتأوهون . . .

يتأوهون . . . يتأوهون . . .

[فترة صمت] .

بويل : [مقلدا چوكسر] :

والعاشقون من حولها يتأوهون !

ما جدوى محاولتك إنشاد الأغنية إذا لم تكن تحفظها ؟

مارى : جرب أغنية أخرى ، يا مستر دالى — فقد تكون أسعد حظاً .

مسز ماديجان : هيا ، يا چوكسر ؛ جرب أغنية أخرى :

چوكسر : [يعاود الغناء] :

لقد استمعت إلى السمان يغرد أنشودة
حبه للصباح ؛
ورأيت قطرة الندى عالقة بالوردة
التى كادت تتفتح ؛

ولكن . . . ولكن . . . [فى غيظ محتدم]
بالوردة التى كادت تتفتح .. تتفتح ..
فتّح .

چونى : أماه ، أستحلفك بالله أن تديرى الجراموفون ؛ وأن تجعلى چوكسر يكف عن الصراخ .

بويل : [بلهجة آمرة] الجراموفون ! . . . إنى أكره أن أرى أشخاصا يقدمون على عمل يعجزون عن تأديته .

[يعد بويل الجراموفون ، ويوشك أن يديره حينما تسمع أصوات أشخاص يهبطون الدرج] .

مسز بويل : [محذرة] صه ، يا چاك ، لا تديره . لا تديره بعد ؛ لا بد وأن تكون هـذه هى مسز تانكرد المسكينة ذاهبة إلى المستشفى – لقد غاب عن بالى كل ما يتعلق بالجثة التى سوف ينقلونها إلى الكنيسة الليلة . افتحى الباب ، يا مارى ، وأضيئى النور لهم .

[تفتح مارى الباب – فتظهر مسز تانكرد – وهى امرأة طاعنة فى السن ، من الجلى أن كيانها قد تزعزع بموت ابنها – فى رفقة عدد كبير من جاراتها . تسمع الجمل القليلة الأولى قبل أن تظهرن] .

الجارة الأولى : يا لها من رحلة محزنة تلك التى تمضى إليها ، ولكن الله رحيم ، ولن يكتب للجمهوريين الخذلان أبدا .

مسز تانكرد : أواه ، وما جدوى ذلك الآن ، سواء كانوا منتصرين أم مدحورين – فلن يرد ذلك ابنى الحبيب من قبره .

مسز بويل : تفضلى يا مسز تانكرد وتناولى قدحا من الشاى قبل أن تمضى .

مسز تانكرد : آه ، ليس فى مقدورى أن أتناول شيئاً الآن ، يا مسز بويل — فلن يطول بقائى من بعده .

الجارة الأولى : مهما يكن الأمر ، فقد مات ميتة نبيلة ، ولسوف ندفنه كما يدفن الملوك .

مسز تانكرد : بينما تمضى بى الحياة كصعلوك . آه ، لا تقاس الآلام التى عانيتها فى إنجابه إلى هذه الحياة ، وحمله إلى مهده بالآلام التى أقاسيها الآن ، وأنا أحمله من هذه الحياة وأشيعه إلى لحده !

مارى : من الأفضل لك يا مسز تانكرد ألا تذهبى على الإطلاق ، بل يجدر بك أن تمكثى فى البيت بجوار المدفأة مع بعض جاراتك .

مسز تانكرد : لقد رأيت أول أيامه ، ولا بد لى من أن أرى آخرها .

مسز بويل : لسوف تكونين فى حاجة إلى شال ، يا مسز تانكرد ، فالليلة باردة ، والريح تعصف بشدة .

مسز ماديجان : [تخرج مهرولة] لدى شال فى شقتى !

مسز تانكرد : لقد تصدع بيتى الآن ؛ فقد كان ولدى الوحيد ، تصورى أنه ظل ملقىً ليلة بطولها ، وهو ممدد على جانب من جوانب أحد دروب الريف الموحشة ، ورأسه ، رأسه الغالية التى طالما أوسعتها تقبيلا وتدليلا ، تكاد تغمرها مياه جدول جار . ولقد علمت أيضا أنه كان قائداً للكمين الذى فقدت فيه جارتى ، مسز مانتج ، ولدها الذى كان من أتباع جماعة « أيرلندا الحرة » . وها نحن كلانا الآن وقد تقدمت بنا السنون تقف كل واحدة منا على جانب من جانبى ميزان الأسى ، وقد توازنت كفتاه بجثتى ابنينا الغاليين .

[تعود مسز ماديجان وتلف شالا حولها]

فليباركك الرب ، يا مسز ماديجان . . :

[تتجه متئدة ناحية الباب] يا أم الرب ، يا أم الرب ، حنانيك بنا ! أيتها العذراء المباركة ، أين كنت حين مزق الرصاص جسد ولدى الحبيب ، حين مزق الرصاص جسد ولدى الحبيب ! . . . أيها القلب المقدس للمسيح المصلوب ، فلتنزع قلوبنا التى قدّت من حجر . . . ولتمنحنا قلوبا من لحم ودم ! . . . انزع عنا هـذا الحقد القاتل . . . وامنحنا حبك الأبدى !

[ينصرفن من الغرفة] .

مسز بويل : [موضحة للنظام] تلك كانت مسز تانكرد التى تقطن فى الغرفتين الخلفيتين ؛ وقد عثر البارحة على جثة ابنها ملقاة خلف فنجلاس وقد اخترقها الرصاص . كان ينتمى إلى جماعة " المقاتلين المعاندين " ، كما تفيد الروايات كلها . ولقد كان

ولداً لطيفاً وديعاً ، ولكنه ذهب إلى الجحيم مؤخراً وهو ينادى بالجمهورية أولا والجمهورية أخيراً والجمهورية فوق الجميع . كثيراً ما كان يتناول الشاى معنا هنا ، فى الأيام الخالية ، كما أنه اعتاد هو وچونى على أن يكونا معا طيلة الوقت .

چونى : هل يتعين على أن أقول لكم دائماً إنه لم يك صديقاً لى ؟ لم أحفل به قط ، ولم يستطع هو أن يحتملنى على الإطلاق . وليس معنى أنه كان قائداً للكتيبة التى كنت أعمل ضابط فرقة فيها أننا كنا صديقين .

مسز بويل : لقد انتهى أمره الآن — فليرحمه الرب ! وليكن الله فى عون هـــذه المخلوقة المسكينة ، أمه العجوز ، ولا يهم سواء كان صديقاً أم عدواً ، فقد كان ولدها المسكين .

بتنام : إن الأمر فظيع برمته ، يا مسز بويل ؛ ولكن الوسيلة الوحيدة للتصرف إزاء كلب مسعور هو القضاء عليه .

مسز بويل : تصور أنني نسيت كل ما يتعلق بنقله إلى الكنيسة الليلة ، على حين أننا نغني ونهلل ، وإن كان من الخير أننا لم ندر الجراموفون ، على أية حال .

بويل : وحتى إذا كنا قد أدرناه ، فليس لنا شأن بهذه الأشياء ، لا عير لنا فيها أو نفير . إن هـذا من اختصاص الحكومة ، فلندعها تعمل ما تقاضينا على إتيانه أجرا .

مسز بويل : أود أن أعلم كيف لا يبالي إنسان بهذه الأشياء ؛ انظر إلى الحال الذي آل إليه الناس في هذا البيت بالذات . أو لم يكد يُغتال كل أهل المنزل ؟ هاك زوج دوروثي الشابة قد بترت ساقه ؛ وهاك مسز تراڤرز التي نسف ابنها بواسطة لغم

فى إنشيجيلا بمقاطعة كورك ، إلى جانب مسز مانتج التى فقدت أحد أبنائها فى كمين نصب منذ بضعة أسابيع . وها هو الآنَ الابن الوحيد لمسز تانكرد المسكينة قد قضى نحبه بعد أن مزق الرصاص جثته . حقاً ، إذا لم يكن هذا من شأننا فلست أدرى من هو صاحب الشأن .

ويل : إيه ، إيه ، يكفى هـذا القدر من الحديث عن هذه الأشياء ؛ فهى لا تمسنا ، ولسنا فى حاجة إلى أن نهتم بها قيد أنملة . إذا كانوا يبتغون مناحة ، حسناً ، فلتقام لهم مناحة . فعندما كنت بحارا ، كنت أمنّى نفسى على الدوام بأن أتخذ من قاع البحر مرقدى ؛ فإذا ما كانوا يريدون أن يصيروا جنودا ، فمن العبث أن يصرخوا حينما يقود مصيرهم كجنود .

چوكسر : دعنى ألقى مصرعى كجندى — وصدرى

معرض لطلقات الرصاص !

مسز بويل : إنها تستحق كثيرا مما حاق بها ؛ فقد دأبت فى الأيام الأخيرة على أن تفتح باب شقتها على مصراعيها لجماعة « المقاتلين المعاندين » ؛ ولذا كنت ترى طيلة الشهرين الماضيين رجال المباحث الجنائية ، ودم يداهمون غرفتك سـواء عند طلوع الشمس أو عند غروبها ، ويستجوبونك عن المكان الذى ولدت فيه والمكان الذى عمدت فيه ، وأين تزوجت وأين تشاء أن تدفن .

چونى : أستحلفكم بالله أن تكفوا عن التمادى فى هذا الحديث ! .

مسز ماديجان : ما رأيكم فى أن يغنى مستر بويل قبل أن ندير الجراموفون ؟

مارى : [تتناول قبعتها وتضعها على رأسها] أماه ، سوف أخرج أنا وتشارلى للتنزه قليلا .

مسز بويل : حسناً ، يا عزيزتى .

بنتام : [ينصرف فى صحبة مارى] لن نتغيب طويلا ، يا مسز بويل .

مسز ماديجان : هيا ، يا كابتن ، هيا .

بويل : هيه كأنى فى حاجة إلى أن أجرع بضعة أقداح أخرى ، قبل أن أصبح فى حالة تسمح لى بالغناء ؟

چوكسر : اقرأ علينا تلك القصيدة التى نظمتها فى ذاك اليوم [مخاطباً بقية الحاضرين] وى ، إنها قصيدة عزيزة ، قصيدة عز ؟ . يا ٥ . يزة !

مسز بويل : فليباركنا الرب ، أو بدأ ينظم الشعر !

بويل : [يهب واقفاً] هيه ؟

[ينشد الأبيات التالية فى لهجة عاطفية يسودها الزهو والخيلاء]

كان شون وأنا صديقين ، يا سيدى ،
وكان الكل فى الكل بالنسبة لى :
كان عمله شاقا وأجره زهيداً للغاية .

ليس له مثيل كعامل من عمال الأرصفة ،
والحق يقال ،
وهأنذا الآن أشعر بالوحدة إذ أنه اليوم
مانى فى غياهب السجن ،
لم يك ممن يطلق عليهم البعض أتقياء —
فنادرا ما يذهب إلى كنيسة أو يقيم
صلاة ؛
ذلك أن ألأم الأوغاد الذين أعرفهم ،
يا سيدى ، يتوجهون كل أحد ٦
إلى هناك .
مولع بكأسه — أو قل يحبه نوعا ما ،
بيـــد أنه كان يمقت رئيسه
عن إيمان .
ولكنه لم يضن ببنس قط فى سبيل
التسرية عن أخ ضاقت به ذات اليد .
هيه [يجلس]
مسز ماديجان : عظيم ، عظيم ؛ ينبغى عليك أن تتابع
هذا ، جدير بك أن تتابع هذا .

چوكسر : إنها قصيدة عز . . يـ . . يزة !

بويل : [فى ابتهاج] هيه .

چونى : أو أنتم عازمـــون على أن تديروا الجراموفون الليلة ، أم لا ؟

مسز بويل : هيا ، يا چاك ، ضع اسطوانة .

مسز ماديجان : هيا ، يا كابتن ، هيا .

بويل : حسنا ، لسوف يتطلب الأمر منكم أن تلتزموا الهدوء التام .

[يضع اسطوانة ، ثم يدير الحاكى فيبدأ فى عزف أغنية « لو كنت أيرلنديا ، فتفضل فى غرفة الجلوس » . وبينما يدوى اللحن على أشده ، يفتح الباب بغتة بواسطة رجل خفيف الحركة ، نحيف . أصلع الرأس ، يرتدى فى عناية بذلة سمراء اللون . يحملق فى شراسة إلى جميع الجالسين فى الغرفة ؛ إنه « نيـــدل نيوجنت » الذى يعمل ترزيا . وهو يحمل قبعته فى يده] .

نيوچنت : [فى صوت مرتفع ، يعلو فوق جلبة الجراموفون]
أو سيستمر هذا الشيء فى الزعيق على
حين أن جنازة ابن مسز تانكرد تمر
بالمنزل ؟ أليس لدى أحد منكم أى
احترام للشعور القومى الذى يكنّه الشعب
الأيرلندى لموتاه ؟ [بويل يوقف الجراموفون]

مسز بويل : ربما حان الوقت ، يا نيدل نيوچنت ،
الذى يقل فيه احترامنا للموتى ، ويزداد
اعتبارنا بعض الشيء للأحياء .

مسز ماديجان : لسنا فى حاجة إلى أن تعلمنا ، يا مستر
نيوچنت ، ماتلقيناه ونحن على حجور
أمهاتنا . بل لا يلوح عليك أنت نفسك
أنك تموت أسى ؛ ولو أنك سألت
مازى ماديجان عن رأيها فيك ، لقلت
إنك من « المقاتلين المعاندين » المخلصين ،
ومن الجمهوريين ، الأغبياء المنعمين ،

ممن يشيعون جنازات الجمهوريين بالنهار ،
ثم يسهرون الليل يصنعون الملابس
للحرس المدنى !

[يسمع صوت أشخاص يهرعون إلى الشارع ،
وبعضهم يقول « ها هى ذى ، ها هى ذى » ،
يسحب ديوجيت ، بينما يتوجه الباقون ،
فيما عدا جون ، إلى النافذة المطلة على الشارع ،
ويطلون منها . تسمع أصوات حشد من الناس
تقترب ، ويشد البعض] :

الكل يتحرق شوقاً إلى قلب اليسوع
يحدوه حب حار نحو بنى الإنسان ،
وقلبى بشوقه الملتاع
سوف يعلو بلحنه المفعم بالابتهاج ،
وعلى طول السنين والأعوام ،
بورك قلب اليسوع المقدس
بأشجى الترانيم
من كل قلب ولسان .

مسز بويل : ها هو النعش ، ها هو النعش !

بويل : ها هى أمه العجوز تسير خلف التابوت . .

مسز ماديجان : إنك لا تكاد ترى التابوت من كثرة أكاليل الزهور .

چوكسر : أوه ، إنها جنازة عزيزة ، جنازة عز . . يـ . . يزة !

مسز ماديجان : لسوف يمكننا أن نر المشهد أكثر وضوحا من الشارع .

بويل نعم — من السهل أن تصاب بتقلص فى رقبتك من جراء هذا المكان .

[يغادرون الحجرة ، ثم يهبطون إلى الشارع . يجلس چونى مكتئبا بجوار المدفأة . يدلف شاب ، يصوب نظره نحو چونى للحظة] .

الشاب : الضابط بويل .

چونى : [مجفلا] معيّ الجنود !

الشاب : أولست مشتركاً فى تشييع الجنازة ؟

چونى : لست بصحة جيدة .

الشاب : يسرنى أننى قد عثرت عليك ؛ لقد كنت مقيما فى منزل خالتك ؛ فقمت بزيارتك هناك ولكنك كنت قد غادرت المكان . يتعين علىّ أن أنبّه عليك بحضور اجتماع هيئة أركان حرب الكتيبة الذى يعقد مساء بعد غد .

چونى : أين ؟

الشاب : لست أدرى ؛ عليك أن تقابلنى عند النصب[1] فى الساعة الثامنة ؛ وهناك سوف نجد فى انتظارنا عربة تقلنا إلى مكان الاجتماع . ومن المعتقد أنك قد تستطيع أن تدلهم على شىء يتعلق بهؤلاء الذين

---

(١) يقصد النصب التذكارى للملك وهو عمود مقام وسط الشارع الرئيسى فى دبلن وأعلاه تمثال للملك . (المترجم)

أفشوا سر المكان الذى كان يختبئ فيه قائد الكتيبة تانكرد .

چونى : لن أذهب إذن . إننى لا أعلم شيئاً عن تانكرد .

الشاب : [عند الباب] يحسن أن تحضر من أجل مصلحتك الخاصة — تذكّر القسم الذى أديته .

چونى : [بحدة] لن أذهب ! ألم أفعل ما فيه الكفاية من أجل أيرلندا ! لقد فقدت ذراعى ، وتهشم ردفى لدرجة أننى لن أقوى مطلقا على السير معتدلا مرة أخرى ! يا الله ، ألم أفعل ما فيه الكفاية من أجل أيرلندا !

الشاب : بويل ، لا يستطيع إنسان أن يفعل ما فيه الكفاية من أجل أيرلندا !

[ينصرف] .

[تسمع أصوات المشيعين تأتى خافتة من بعيد وهم يرددون] :

سلام عليك ، يا مارى ، يا من أفعم
قلبك بالرحمة ،

الرب راعيك ؛

بوركت بين نساء العالمين وبورك ...الخ .

[ستار]

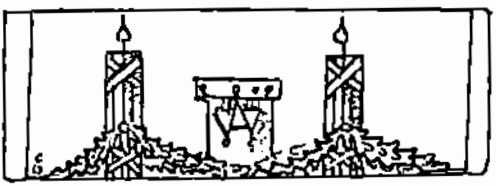

الفصل الثالث

[نفس المنظر كما فى الفصل الثانى . الوقت حوالى الساعة السادسة والنصف فى أمسية من أمسيات شهر نوفمبر ؛ تشتعل نار متوهجة فى المدفأة ؛ مارى ، مرتدية ملابس الخروج ، جالسة على مقعد بجوار المدفأة ، وهى تميل إلى الأمام ، وتضع يديها تحت ذقنها ، ومرفقيها على ركبتيها . تشيع فى وجهها نظرة اكتئاب مختلطة بقلق حائر . مصباح ، قد خفت ضوؤه ، ينير على المنضدة . ضوء النار الموضوع أسفل صورة العذراء يزداد توهجه احراراً عن ذى قبل . مسز بويل ترتدى قبعتها ومعطفها . مر شبران على حوادث الفصل الثانى] .

مسز بويل : ألم يكتب لك بنتام قط منذ ذلك الحين — ولو سطراً واحداً طيلة الشهر الماضى ؟

مارى : [فى لهجة فاترة] ولا حتى سطراً واحداً ، يا أماه .

مسز بويل : هذا أمر عجيب للغاية . . . ماذا جرى بينكما يا ترى ؟ يهجرك هكذا بغتة ،

على حين أن علاقتكما كانت على خير ما يرام . . . ثم يرحل إلى انجلترا ، ولم يترك لك حتى عنوانه . . . لقد حسبته قد جن بك حين رأيت الكيفية التي كان يصطحبك بها إلى المراقص دائماً . هل أنت على يقين من أنك لم تقولي له شيئاً ؟

ماري : كلا ، يا أماه . — على الأقل لم أقل له شيئاً يمكن أن يفسر هجره لي .

مسز بويل : أنت تعلمين أنك تتسرعين قليلا في بعض الأحيان . يا ماري ، وتقولين أشياء لا ينبغي عليك أن تقوليها .

ماري : لم أقل له مطلقاً ما لم يكن ينبغي عليّ أن أقوله ، إنني على يقين من هذا .

مسز بويل : ومن أين لك هذا اليقين ؟

ماري : لأنني أحبه بكل قلبي وروحي ، يا أماه . لماذا ، لست أدري ، كثيراً

ما فكرت بيني وبين نفسي أنه لم يك
يمثل ذلك النمط من الرجال الذي كان
يمثله جري المسكين ، ولكنني لم أجد بدا
من حبه ، رغم ذلك . "

مسز بويل : ولكن ينبغي ألا تتكدرين إلى هـذا
الحد ؛ حقا ، إن المرأة حينما تفقد
رجلا ، لا تعلم إطلاقا مقدار ما تفقده ؛
ولكنها لا تعلم كذلك مدى ما يعود
عليها من فائدة . إنك لست بالفتاة التي
عهدناها منذ شهر مضى — فإنك تبدين
كفتاة تذوب أسى . لقد كان ينبغي عليّ
منذ وقت طويل أن أصطحبك إلى
الطبيب ، بدلا من أن أنتظر حتى هذه
الليلة .

ماري : الواقع أنه ليس ثمة داع للذهاب إلى
الطبيب ، يا أماه ؛ فلست أشكو من شيء

خطير — وكل ما هنالك أننى منيت بخيبة أمل وتحطمت معنويتى .

مسز بويل : لن أنتظر دقيقة واحدة أخرى ، فإن منظرك لا يروقنى على الإطلاق : . . أخشى أن نكون قد أخطأنا فى التخلى عن جرى المسكين . . : لقد كان أصلح لك من بنتام هذا .

مارى : أماه ، إن أصلح رجل لامرأة ما هو الشخص الذى يستأثر بأكبر قسط من حبها ، وتشارلى قد استأثر بحبى كله .

مسز بويل : حسنا ، ثمة شىء واحد يمكن أن يقال فى صالحه — من المحال أنه كان يفكر فى نقودنا ، وإلا لما كان قد هجرك . . . لا بد أن فى الأمر شيئاً آخر :

مارى : [فى ملل] لست أدرى . . . لست أدرى ، يا أماه . . . ولا أظن إلا أن . . .

مسز بويل : ماذا تظنين ؟

مارى : أخال . . . أنه كان يعتقد . . . أننا لم نكن . . . كفئا له .

مسز بويل : وماذا كانت مهنته هو ، ألم يك سوى معلم ؟ رغم أننى لا ألومه إذا شعر بالخجل من أناس أمثال هذا الشخص چوكسر ، وتلك الشمطاء مادينجان — صنف عظيم من الناس يقدمه أبوك إلى رجل مثل مستر بنتام . كان يجدر بك أن تنبئينى بكل ما يتعلق بهذا الأمر قبل الآن ، يا مارى ؛ لست أدرى لم تحبين أن تخفى كل شىء عن أمك ؛ لقد كنت على صلة ببنتام ، ولم أكن لأعلم شيئاً عن هذه الصلة لولا مسألة الوصية ؛ وكذلك لم تبيحى لى سوى اليوم ، بعد إلحاح طويل ، بأنه قد هجرك .

مارى : لم يكن ليجدى أن أنبئك بهذا — فلم يكن ليتسنى لك أن تفهمينى .

مسز بويل : [وقد جرح شعورها] لعله لم يكن مجديا . . . ولعلني لم أكن لأفهمك . . . حسنا ، لسوف ننصرف الآن .

[تتجه إلى الباب الذى إلى اليسار وتخاطب بويل فى الداخل] .

مسز بويل : إننا ذاهبون الآن إلى الطبيب : ألست عازما على النهوض من الفراش هذا المســاء ؟

بويل : [من الداخل] إن الآلام التى فى ساقاى آلامٌ مريعة ! وكان الأحرى أن أنسلّ أنا إلى الطبيب بدلا من مارى ، بسبب ما أعانيه .

مسز بويل : لقد نلت جزاءك ! فقد كان منظرك مزريا ليلة أمس — وهم يحملونك غائبا عن الوعى ، كجثة هامدة : لو أنك ظللت على هذا الحال عند حصولك على المال فلسوف يكون مآلك إلى القبر ،

ومآلى إلى مستشفى المجاذيب ، ومآل جونى إلى الملجأ .

بويل : أعتقد أنكما كنتما على وشك الانصراف ؟

مسز بويل : هذا هو الحال معك دائماً — لا تستطيع أن تحتمل أن يتحدث إليك أحد ، ولما كنت تعلم ما نحن فيه ، فإننا غارقون حتى آذاننا فى الديون ، فمن الغريب أنك لم تنهض لكى تذهب إلى المحامى وترى ما إذا كان من الممكن أن نحصل حتى على النذر اليسير من مالنا .

بويل : [صائحا] ليس فى مقدورى أن أذهب إلى هناك ليلا وظهرا وصباحا ، أليس كذلك ؟ وليس فى مقدوره أن يسلمنى النقود حتى يحصل عليها ، أليس كذلك ؟ وليس بوسعى أن أحصل على الدم من اللفت ، أليس كذلك ؟

مسز بويل : لقد مر زهاء شهرين منذ أن سمعنا عن الوصية ، ولا زالت النقود تبدو بعيدة عنا

كعهدنا بها دائماً . . . أحسبك تعلم أننا مدينون لمورفى العجوز بمبلغ عشرين جنيهاً ؟

بويل : لقد أخبرتنى بذلك قبـــل الآن على ما أذكر .

مسز بويل : حسنا ، لسوف تذهب بنفسك إلى البدال لابتياع الأشياء فى المستقبل — فلن أواجهه بعد الآن .

بويل : أظن أنك قلت أنكما منصرفتان ؟

مسز بويل : إننى ذاهبة فى الحال ، هيا ، يا مارى .

بويل : إى ، جونو ، إى !

مسز بويل : حسنا ، ماذا تريد الآن ؟

بويل : هل لا زال لدينا زجاجة من الجعة ؟

مسز بويل : لا زال لدينا زجاجتان .

بويل : احضرى لى واحدة منهما واتركى الأخرى هناك حتى أقوم ، وأنقى إلى بالصحيفة

التى على المنضدة ، وزجاجة « دهان سلون ، التى فى الدرج .

مسز بويل : [تحضرى الدهان والجمة] أية صحيفة تريد — « المستجر » ؟

بويل : « المستجر » ! ذى نيوز أف ذى ورلد[1] !

[مسز بويل تحضر الأشياء المطلوبة . ثم تخرج ثانية] .

مسز بويل : [عند الباب] إياك والشمعة ، وحذار أن تشعل البيت فوق رءوسنا . لقد تركت زجاجة الجمة الأخرى على المنضدة .

[تضع زجاجة الجمة على المنضدة . تنصرف مع مارى . تسمع فرقعة سدادة من اثنين فى فى الداخل .

فترة صمت ، ثم يسمع خارج الباب صوت چوكسر يدندن فى صوت خفيض : « لسوف أدخن غليونى ، بينما أسوق حمارى . . .

---

(١) مجلة انجليزية أسبوعية تخصصت فى نشر أنباء الجرائم والقضايا . (المترجم)

هل أنت . . . موجود . . . موري . . ى . .
آر . . إى . . ق ! » تسمع طرقة خفيفة ،
ثم يفتح الباب بعد لحظة صمت ، فيدلف
چوكسر يتبعه نيوچنت] .

چوكسر : يا لله ، لا بد أنهم خرجوا جميعاً ؛
اعتقدت أن فى الأمر شيئاً حينما لم يجب
على إشارتى . لقد رأينا چونو وماري
وهما منصرفتان ؛ بيد أننى لم أره هو ،
ومن النادر جدا أن يغيب عن
بصرى .

نيوچنت : لن يتمكن من الإفلات منى — لن نطلق
له الحبل على الغارب كلية .

چوكسر : بالتأكيد ، فلم يتسع لهم هذا البيت
مؤخرا ؛ على حين يخطر هو كأنه أحد
عباقرة دولة « أيرلندا الحرة » ،
وقد نسوا أصدقاءهم ، ونسوا ربهم —
فهو لا يرفع حتى قبعته وهو مارٌ بكنيسة

من الكنائس ! لا ريب فى أن مآلهم كان إلى التردى من عليائهم ! هل تعتقد حقيقة أن المال لن يأتيه على أية حال ؟

نيوجنت : ولا بنس واحد ؛ يا رجل ؛ لقد كنت قلقاً بعض الشيء طيلة هذا الوقت من أجل نقودى ، فتوجهت إلى مكتب المحامى حتى أستطلع الأمر — آه ، يا رجل ، لقد كادوا يلقون بى أسفل السلم بعد أن أخبرونى أن الديك العجوز نفسه قد أبلى الدرج من كثرة تردده للسؤال عن الوصية ، وأن وجوههم قد اسودت من كثرة إبلاغه بأنه لن ينل شيئاً . ذلك أن الوصية قد صيغت بطريقة لا تجعل له الحق فى أن يحصل على نصف بنس واحد !

چوكسر : آه ، لقد خيل إلىّ أن ثمة شيء

عجيب فى الأمر كله ؛ فلقد كانت تراودنى أحلام غريبة طيلة الأسبوعين الماضيين : فضلا عن أننى لاحظت أن ذلك الشخص المدعو بنتام لا يتردد على المكان فى الوقت الحالى — فلا بد أنهم قد وقعوا أيضاً فى ورطة ما . وعلى كل ، من ذا الذى ، بحق الإله ، يترك شيئا لهذا العاطل العجوز ؟ لاريب فى أن هذا لن يكون أمراً طبيعيا : تخيل كيف دأب هو وجونو على أن ينفخا أوداجهما طيلة الشهور القليلة الماضية ! آه ، إن فى السلف الندامة !

فيوجنت : حسنا ، لن يعد ينفخ أوداجه فى البذلة التى فصلتها له : إنى أؤكد لك أن سبعة جنيهات ليست بالشىء الذى يمكن قطفه من فوق الأشجار فى هذه الأيام .

چوكسر : إنك لا تكاد تجد جاراً واحدا فى

الشارع بأكمله لم يقرضه نقودا اعتمادا على المبالغ التى سوف يحصل عليها ، ولكنهم قد راهنوا بذلك على الجواد الخاسر . أليس من رحمة الله أننى لم أكُ أمتلك شيئاً حتى أعطيه له ! ذلك أننى لين الجانب ، كما تعلم ، وكان من الممكن أن أقرضه آخر بنس فى جيبى ! لابد أن شخصا ما قد دعا لى دعوات طيبة . آه إن الرجل الأمين هو أنبل ما صنع الإله ، على كل حال !

[بويل يسعل فى الداخل] .

چوكسر : صه ، تبّا له ، لا بد أنه فى الفراش داخل الغرفة .

نيوچنت سواء فى الفراش أو خارجه ، لسوف يدفع لى ثمن تلك البذلة ، أو يردها إلىّ ثانية — ولن يتخذنى مطية له بمثل هذه السهولة التى يتخيلها :

جوكسر : ادخل على الفور ، يا رجل ، وخذها منه قسراً ولا تكن غبياً . ،

نيوچنت : [يتجه إلى الباب الذى إلى اليسار ، ثم يفتحه ويظر إلى الداخل] آه ، لا تزعج نفسك ، يا مستر بويل ، آمل ألا تكون مريضاً ؟

بويل : عاودتنى الآلام القديمة فى ساقاى ، يامستر نيوچنت ، الآلام القديمة .

نيوچنت : لقد جئت على الفور لكى أرى إذا كان من الممكن أن تدفع لى شيئاً من حسابه البذلة ؟

بويل : إيه ، كم ثمنها ؟

نيوچنت : نفس الثمن الذى كانت عليه منذ البداية — سبعة جنيهات .

بويل : إننى مسرور لمجيئك، يا مستر نيوچنت ؛ فإننى أريد معطفا أنيقا ثقيلا — من التويد الأيرلندى ، إذا كان هذا الصنف متوفرا

لديك . كم يساوى مثل هذا المعطف ، فى الوقت الحاضر ؟

نيوچنت : حوالى ستة جنيهات .

بويل : ستة جنيهات — ستة وسبعة ، ستة وسبعة يصبح مجموعهما ثلاثة عشر — إذن سأكون مدينا لك بثلاثة عشر جنيها .

[چوكسر يدس زجاجة الجعة التى على المنضدة فى جيبه . يندفع نيوچنت داخل الغرفة ، ثم يعود بالبذلة وقد وضعها على ذراعه ، يصمت قليلا عند الباب] .

نيوچنت : لن تكون مدينا لى بثلاثة عشر جنيها . كأنى بك تظن أنه من الأفضل لك أن تستدينها لا أن تسددها !

بويل : [بحنق] هى ، عد بحق الجحيم — إلى أين أنت ذاهب بملابسى هذه ؟

نيوچنت : إلى أين أنا ذاهب بملابسك هذه ؟ حسنا ، إننى معجب بصفاقتك !

بويل : هى ، ما عساى أرتدى عند الخروج ؟

نيوچنت : وفيم يهمنى ما ترتديه ! بوسعك أن تلبس غطاء وسادة ، إذا شئت . [يتجه ناحية الباب الآخر ، يتبعه چوكسر]

چوكسر : ما عساه يرتدى ! الجنتلمان چاك ومعطفه التويد ! [ينصرفان]

بويل : [فى الداخل] إى ، نيوچنت ، إى ، مستر نيوچنت : مستر نيوچنت !

[بعد مرور فترة صمت يدخل بويل مسرعاً وهو يزرر حمالات سرواله القطيفة ؛ ستر ته وصدريته موضوعتان على ذراعه ؛ يلقى بهما على أحد المقاعد ، ثم يسرع إلى الباب الذى إلى اليمين] .

بويل : إى ، مستر نيوچنت ، مستر نيوچنت !

چوكسر : [يقابله عند الباب] ماذا جرى ، ماخطبك ، يا كابتن ؟

بويل : نيوچنت كان هنا ثم اختطف بذلتى ـ

الملابس الوحيدة التى أرتديها عند الخروج !

چوكسر : أخذ بذلتك — يا لله ! وماذا كنت تفعل بينما كان يستولى عليها ؟

بويل : كنت مستلقيا على فراشى حين تسلل كما يتسلل اللص فى الظلام ، وقبل أن أدرك ما كان يدور بخلده ، اختطف البذلة من فوق الكرسى وطار كالحمامة !

چوكسر : ولم ، بحق السماء ، أقدم على هذا العمل ؟

بويل : لم أقدم على هذا العمل ؟ وأنّى لى بحق الجحيم أن أعرف لماذا أقدم على هذا العمل ؟ الحسد والحقد ، على ما أعتقد .

چوكسر : ألم يذكر السبب الذى من أجله فعل ذلك ؟

بويل : ألم أخبرك منذ لحظة أنه اختطفها

وانصرف قبل أن أستطيع أن أفتح فمى ؟

چوكسر : لقد كان هذا عملا مفاجئا للغاية ؛ لابد أن يكون فى الأمر شىء ما . هل تطرق إلى سمعه شىء ما ، يا ترى ؟

بويل : هل تطرق إلى سمعه شىء ما ؟ — إنك تتحدث حديثاً غريباً جداً ، يا چوكسر — ماذا يمكنه أن يسمع ؟

چوكسر : بخصوص عدم حصولك على المال ، بطريقة أو بأخرى ؟

بويل : وماذا يمكن أن يمنعنى من الحصول على المال ؟

چوكسر : هذا ما كنت أفكر فيه توا — ماذا يمكن أن يمنعك من الحصول على المال ! — لا شىء ، على ما أعتقد .

بويل : [ينظر فيما حوله بحثاً عن زجاجة الجعة ، ثم يصيح متعجباً] آو ، يا لله !

چوكسر : ماذا جرى ، يا چاك .

بويل : لا بد أنه أخذ زجاجة الجعة التى تركتها چونو على المنضدة !

چوكسر : [منزعجاً] آه لا ، آه لا ؛ لا يمكن أن يكون قد فعل ذلك :

بويل : من فعل ذلك إذن ؟ لقد تركت چونو زجاجة من الجعة هنا ، وقد اختفت هذه الزجاجة — لقد سارت على قدميها ، أليس كذلك ؟

چوكسر : أوه ، هذا مريع ، آه ، إن قسوة الإنسان نحو أخيه الإنسان تسبب آلافا مؤلفة من الأحزان !

مسز ماديجان : [تظهر عند الباب] آمل ألا أكون قد قطعت عليك أى حديث يتعلق بميراثك المقبل — إذا كان لى أن أستخدم هذه الكلمة — وأن تسمح لى بأن أتبادل

معك حديثاً ودياً لدقيقة أو دقيقتين ،
يا مستر بويل .

بويل : [فى قلق] بالتأكيد ، يا مسز ماديجان —
إن الصديق القديم يلاقى الترحيب دائماً .

چوكسر : تعالى فى المساء ، تعالى فى الصباح ؛
تعالى عندما توجه إليك الدعوة ،
أو تعالى دون سابق إخطار ، يا مسز
ماديجان .

بويل : اجلسى يا مسز ماديجان .

مسز ماديجان : [فى نبرة منذرة بالشر] إن البضع كلمات
التى أود أن أوجهها لك يمكن قولها
وأنا واقفة ، بصرف النظر عن كل
المرسومات[1] ، أعتقد أنك تذكر
أننى أقرضتك منذ حين مبلغ ثلاثة
جنيهات حصلت عليها نظير رهن بعض

(١) تقصد الرسميات . (المترجم)

البطاطين والأثاث أودعتها لدى محل عمى ؟

بويل : أذكر ذلك جيدا . ولقد دونته فى مفكرتى — مبلغ ثلاثة جنيهات وخمسة شلنات من مازى ماديجان ، قيمة رهن بعض الأدوات ؛ البند التالى : أربعة بنسات ، تسلم لتسوية ثمن قدح من الجعة ، عملا بالمبدأ القائل : إنه ما من عصفور يطير على جناحٍ واحد ؛ على أن تسدد المبالغ كلها بالسعر الأساسى ، حينما تعود السفينة إلى ديارها .

مسز ماديجان : حسنا ، منذ أن رهنت البطاطين وأنا أكاد أموت من شدة البرد ، ولذا فقد قر عزمى على أنه إذا وصلت بى الحال إلى أن أصلى نار جهنم فى الآخرة ، فلن أقاسى زمهرير البرد فى الحياة الدنيا ؛ وعليه ، أريد جنيهاتى الثلاثة من فضلك .

بويل : إن هذا طلب فجائى للغاية ، يا مسز ماديجان ، ولا أستطيع أن أليبه ، ولكننى على استعداد لأن أعطيك إيصالا بالمبلغ كله بالتمام والكمال ، بالتمام والكمال .

مسز ماديجان : هيا ابرز النقود ، ولا تتظاهر بالغباء .

بويل : إنك لا تستطيعى استخراج الدم من اللفت ، أليس كذلك ؟

مسز ماديجان : [تندفع ناحيته وتهزه] اعطنى نقودى ، أيها العجوز الماجن ، وإلا استخلصت قيمتها من لحمك !

بويل : إى ، كفى عن هذا ، كفى عن هذا ! فلتتريثى من أجل نقودك ، يا فتاتى !

مسز ماديجان : [تتلفت فى أرجاء الغرفة فترى الجراموفون] لسوف أتريث من أجل نقودى ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لن أتريث

طويلا ، وما دمت لا أستطيع الحصول على النقدية ، فلسوف أحصل على ما يساوى قيمتها . [تختلف الجراموفون]

بويل : إى ، إى ، إلى أين أنت ذاهبة بهذا ؟

مسز ماديجان : إننى ذاهبة إلى محل الرهونات لكى أحصل على جنيهاتى الثلاثة وشلناتى الخمسة ؛ ولسوف أحضر لك القسيمة ، ومن ثم تستطيع أن تفعل ما تشاء ، يا صاحبى .

بويل : لا يمكن أن تلمسى ذلك ، لا يمكن أن تلمسى ذلك ! إنه ليس ملكا لى ، ولم تسدد ثمنه بعد !

مسز ماديجان : هذا أفضل بكثير ؛ فلسوف يريح ذلك ضميرى ، إذ أننى آخذ ما ليس ملكا لك . لن يتسنى لك أن تختال كالطاووس بمال مازى ماديجان — ولسوف أنزع من ذيلك بعض ريشك الزاهى !

[تنصرف ومعها الجرامونون] .

بويل : إلى أين ينساق العالم كلية ؟ إنى أسألك ، يا چوكسر دالى ، هل هناك بقية من أخلاق فى أى مكان ؟

چوكسر : لم أكن أصدق ما حدث لولا أننى رأيته بعينى رأسى . لم يكن يخطر على بالى أن مازى مادينجان من ذلك النوع من النساء ؛ إما أن تكون قد ثملت ، وإما تطرق إلى سمعها شىء ما :

بويل : تطرق إلى سمعها شىء ما — عن ماذا ، إذا لم تكن ثمة إساءة فى السؤال ؟

چوكسر : لا بد أنها سمعت إشاعة أو أخرى تفيد بأنك لن تحصل على النقود .

بويل : من ذا الذى يقول إننى لن أحصل على النقود ؟

چوكسر : لا أعرف على وجه التأكيد — لم أكن أقول سوى . .

بويل : لم تكن تقول سوى ماذا ؟

چوكسر : لا شيء

بويل : لقد كنت على وشك أن تنضى بشيء ما — لا تكن منافقا .

چوكسر : [غاضبا] من هو المنافق ؟

بويل : لم لا تتكلم بصراحة ، إذن ؟

چوكسر : أما أنت فلم تنافق أبدا — كلا ، لا تعرف كيف يكون النفاق !

بويل : هل عرفتنى منافقا فى وقت من الأوقات ؛ هل رأيتنى أنافق مرة واحدة ؟

چوكسر : [بشراسة] هل كنت تعمل غير هذا على الإطلاق ! لا شك فى أنك لا تعتقد فى صدق كلمة واحدة تخرج من فمك .

بويل : هيا ، اغرب عن هنا ! لقد كنت أدرك دائماً أنك مخاتل مماطل !

چوكسر : [ينصرف بينما يدلف چونى] لقد رُفعت

المرساة ؛ الوداع ، تذ . . كر . . نى ؛
چاكى بويل ، المحترم ، وغد أثيم ،
وكذاب أشر .

چونى : هل عدت إلى چوكسر مرة أخرى ؟ — متى ستشعر بقليل من احترام الذات ، ولا تجعل منا جميعا موضع سخرية الناس على الدوام ؟

بويل : أأنت فى سبيل إلقاء محاضرة علىّ الآن ؟

چونى : ألم تعد أمى ومارى من عند الطبيب بعد ؟

[تدلف مسز بويل ؛ يبدو جليا من النظرة الصارمة التى تشيع فى وجهها أن أمراً ما قد حدث . تخلع قبعتها ومعطفها دون أن تنبس بكلمة ثم تضعهما على مقربة منها . تجلس بعد ذلك بجوار المدفأة ، ثم يسود الصمت لبضع دقائق] .

بويل : حسنا ، ماذا قال الطبيب بخصوص مارى ؟

مسز بويل : [فى لهجة جادة وهى تحاول أن تخفى اضطرابها] اجلس هنا ، يا چاك ؛ لدى شيء أود أن أفضى به إليك . . . شيء يتعلق بمارى .

بويل : [وقد أزعجته لهجتها] يتعلق بمارى ؟

مسز بويل : اغلق ذاك الباب ، واجلس هنا :

بويل : [يغلق الباب] مزيد من المتاعب فى ديارنا ، أليس كذلك ؟ [يجلس] حسنا ، ماذا حدث ؟

مسز بويل : إنه أمر يتعلق بمارى .

بويل : حسنا ، ما الذى يتعلق بمارى ؟ هل أصابها شيء ؟

مسز بويل : لقد أصابها خطب جسيم للأسف .

بويل : خطب جسيم ! [فى تبرم] چونى أولا ، ثم مارى الآن ؛ هل أوشك البيت كله على أن يصير مستشفى ! إنه مرض السل ، أليس كذلك ؟

مسز بويل : كلا . . . ليس هو بمرض السل . . .
إنه أسوأ . . .

چونى : أسوأ ! حسنا ، ينبغى علينا أن نرسل بها
إلى مكان ما غير هذا المكان ، فليس ثمة
من يعتنى بها هنا .

مسز بويل : يجب علينا جميعا أن نهتم بها الآن :
ولا بأس أن تعلم الآن يا چونى ما دمت
ستعلم فى وقت آخر . [مخاطبة بويل]
هل تعرف ماذا قال الطبيب بشأنها ،
يا چاك ؟

بويل : وكيف لى أن أعرف ؟ لم أكن هناك —
أليس كذلك ؟

مسز بويل : لقد أخبرنى بأن أزوّجها فى الحال .

بويل : تزوجينها فى الحال ! ولم صرح بمثل
هذا القول ؟

مسز بويل : لأن مارى ستضع مولودا بعد فترة وجيزة .

بويل : مولودا ! — يا لله ، وماذا عساه أن يقول بنتام حين يسمع بهذا ؟

مسز بويل : هل أنت أعمى ، يا رجل ، حتى لا ترى أن هذا الخطب قد أصابها من جراء بنتام ؟

بويل : [محتدا] إذن فليتزوجها ، عليه أن يتزوجها !

مسز بويل : أنت تعلم أنه قد سافر إلى إنجلترا ، ويعلم الله أين هو الآن .

بويل : لسوف أقتفى أثره ، لأقتفين أثره ، وأعيده مرة ثانية ، ثم أجعله يصلح ما أفسده ؛ هذا الوغد ، لقد كان من الممكن أن أكتشف أى إنسان هو ، وهو يتشدق بيوجاه وبراوناه !

مسز بويل : علينا أن نتكتم الأمر حتى نرى ما يمكننا عمـــله .

بويل أوه ، أليست هذه طامة تقع على أم رأسى ، وأنا فى مثل هذه الحالة ! لسوف أكون أضحوكة مسلية لحوكسر ولتلك الشمطاء ، ماديجان ! ألا يكفينى ما عانيته حتى أعانى من جراء هذا كذلك !

مسز بويل : لن يقاس ما سوف نعانيه بما ستعانيه مارى المسكينة ؛ ذلك أننا قد أشرفنا على الشيخوخة ، وولت معظم سنى حياتنا ؛ ولكن مارى عليها أن تواجه وتدبر أمرها زهاء أربعين سنة ، وكل سنة منها سوف تكون مشوبة بذكرى مريرة .

بويل : أين هى ؟ أين هى حتى أناقشها الحساب ؟ إنى أؤكد لك أننى إذا تخليت عنها ستصبح فتاة نادمة !

مسز بويل : لقد تركتها فى بيت أختى حتى أجىء.

لأتحدث إليك . لا تقل لها شيئاً ؛ فمذ أن غادرت المدرسة وهى تكسب قوتها ، على حين أن الفتاة المسكينة لم تحظ برعايتك الأبوية قط .

بويل : هيا ، تحالفى معها ضد أبيها ! لكننى سوف أريك ما إذا كنت سأقول لها شيئاً أم لا ! تبا لها ولاطلاعها ! هذه نكبة أخرى من النكبات التى جرها علينا هذا الحراء اللعين الذى قوّض أرجاء البيت فوق رءوسنا ! ماذا تبغى فتاة مثلها ، نشأت فى ربع ، من وراء الاطلاع ؟ إن اطلاعها على وشك أن يزج بها فى مأزق صعب — أوه ، إنه شىء يطير الصواب ، يطير الصواب ، يطير الصواب !

مسز بويل : حينما تعود إياك أن تقول لها شيئاً يا چاك ، وإلا فستغادر هذا المكان .

بويل : تغادر هذا المكان ! نعم ، لسوف تغادر هذا المكان ، وعلى وجه السرعة كذلك .

مسز بويل : إذا ذهبت مارى ، فلسوف أذهب معها .

بويل : حسنا ، اذهبى معها ! حسنا ، اذهبا كلاكما ! لقد عشت قبل أن أراكما ، وبوسعى أن أعيش عند ذهابكما . أو ليست هذه طامة كبرى تقع على أم رأسى رغم كل هذه الصلوات التى تقيمينها للقديس

أنطونيو و « الزهرة الصغيرة » ! وهى فوق ذلك ربيبة العذراء مريم — ماذا ستظن بها الراهبات الآن يا ترى ؟ لسوف ينتشر الخبر فى أرجاء الحى فى لمح البصر ؛ وما إن يلمحنى الناس حتى يهمسوا ، « هذا هو والد مارى بويل التى أنجبت طفلا من هذا المغرور التى اعتادت السير معـــه ؛ أليس كذلك ، أليس كذلك ؟ » لا ريب أنهم سوف يعلمون عن الأمر — أكثر مما أعلم أنا !

چونى : لا بد أن تطرد من البيت الذى جلبت له العار !

مسز بويل : صه ، أنت ، يا چونى . لسنا فى حاجة إلى أن نجعل الخبر ينتشر فى أرجاء الحى ؛ كل ما ينبغى علينا عمله هو أن نغادر هذه الشقة فى هـــدوء ونذهب إلى مكان ما لا يعرفنا فيه أحد ، وهذا هو عين الصواب .

بويل : إنك تتحدثين مثل بنت السنتين ، يا امرأة ؛ من أين لنا أن نعثر على شقة أخرى غير هذه ؟ — إن العثور على شقة ليس بالأمر الهين ؛

مسز بويل : ولكن حينما نحصل على النقود ، يا جاك . . .

بويل : نقود — أية نقود ؟

مسز بويل : وى ، نقود إليسون العجوز بالطبع .

بويل : لن تأتينا نقود سواء من إليسون العجوز أو من أى شخص آخر . وحيث إنك علمت بأمر هذا الكرب ، فلا بأس من أن تسمعى عن كرب آخر . لن يأتينا مال على الإطلاق — فالوصية لا طائل من ورائها !

مسز بويل : ماذا تقول ، يا رجل — ما من نقود ؟

چونى : هل يمكن ألا يرجى من ورائها نفع ؟

بويل : إن الولد الذى غرر بمارى غرر بى كذلك . لقد صاغ الغبى الوصية صياغة خاطئة ؛ فلم يذكر فى الوصية سوى ابن العم وابن عم الأب[1] ، بدلا من أن يذكر أسماءنا ، والآن يوسع كل إنسان يظن أنه ابن عم أو ابن عم أب إليسون العجوز أن يطالب بالنقود كما أطالب أنا ، وهؤلاء يظهرون كل يوم بالمئات ويفدون من أمريكا ومن استراليا ، ظانا منهم أنهم سيحصلون على نصيبهم منها ، على حين أن المحامين آخذون فى التهامها طيلة الوقت ، حتى لم يتبق منها ما يكفى لشراء جورب لطفل ابنتك الجميل !

---

(١) من الممكن أن تعنى كلمة Cousin ابن العم أو ابن العمة أو ابن الخال أو الخالة وكذلك قد تعنى كلمة Secon Cousin ابن عم الأب أو ابن عمة الأب أو ابن خال الأب أو خالته ، ومن هنا يتضح اللبس فى صياغة الوصية . (المترجم)

مسز بويل : لا أصدق هذا ، لا أصدق هذا ، لا أصدق هذا !

چونى : لماذا لم تذكر شيئاً عن هذا من قبل ؟

مسز بويل : أنت لست جادا ، يا چاك ، لست جادا !

بويل : أقول لكم إن العلاّمة ، بنتام ، قد جعل من الوصية أمرا مربكا ؛ فبدلا من أن يقول ، « توزع بقية أملاكى مناصفة بين ابن عمى چاك بويل ، وابن عم أبى ، مايك فينجان المقيم بسانترى » لم يذكر سوى « ابن عمى وابن عم أبى » وها هو ذا العالم كله وزوجة إليسون يسعيان الآن وراء الممتكات .

مسز بويل : لقد عرفت الآن لماذا تخلى بنتام عن مارى المسكينة ؛ أستطيع أن أدرك كل شيء الآن — أوه ، أو لم يبق فى

الدنيا ولو إنسان واحد على شيء من النزاهة ؟

چونى : [مخاطبا بويل] ومع هذا تركتنا نغرق الديون ، ورحت تقترض النقود من كل إنسان لكى تملأ كرشك بالجعة ! ! ثم تخبرنا الآن أن الوصية برمتها لا طائل من ورائها ! أوه . لو أن الأمر صحيح فقد انتهى كل ما بيننا ، إذ أنك أسوأ من أختى مارى !

بويل : اخرس أنت ، أسمعت ؟ لن أسمح لك بأن توجه لى أية كلمة ، اذهب وأحضر بنتام إذا كنت تبغى إصلاحا لكل ما حاق بنا .

چونى لن أخرس . لن أخرس . ! لسوف أقول رأيي فيك ، رغم أنك أبى بجلال قدره . . . إنك . .

مسز بويل : چونى ، چونى ، چونى ، أستحلفك بالله أن تسكت !

چونى : لن أسكت ، لن أسكت ؛ إنه أب صالح ، أليس كذلك ؟ هل ثمة غرابة فى أن تضل مارى سواء السبيل ، حين . .

مسز بويل : چونى ، چونى ، فلتسكت إكراماً لى — إكراماً لأمك !

بويل : سأنصرف الآن لكى أتناول بعض الشراب بالبنسات القليلة الباقية معى . ولتبلغين فتاتك هذه ألا أجدها هنا حين أعود ؛ ذلك أنه لو وقع بصرى عليها ، لسوف أطبق يداى عليها ، وإذا ما أطبقت يداى عليها ، لن أكون مسئولا عما سوف يحدث !

چونى : فلتحذر أن يطبق شخص ما يداه عليك — أيها العجوز . . .

مسز بويل : چونى ، چونى !

بويل : [عند الباب ، وهو يهم بالانصراف] أوه .

ابن لطيف ، وبنت ألطف : ولداى
هـــذان . [ينادى موجها صيحاته إلى أعلا]
چوكسر ، چوكسر ، هل أنت هناك ؟

چوكسر : [من بعيد] أنا هنا ، مور . . . ى : : :
آر . . . إى . . . نى !

بويل : إننى ذاهب إلى حانة فولى — هل تأتى ؟

چوكسر : آتى معك ؟ بهذا النداء الحلو قد رق
قلبى ؛ إننى فى انتظار مجرد الإشارة
فأسرع إليك كالعصفور !

[بويل وچوكسر يمران بالبـاب وهما
منصرفان] .

چونى : [يلقى بنفسه فوق السرير] لى أخت عظيمة ،
وأب عظيم ، ما فى ذلك شك . ليته
رصاصة أو قنبلة كانت قد خلصتنى من هذا
منذ أمد طويل ! ما من واحد منكم ،
ما من واحد منكم ، يقيم أى وزن لى !

مسز بويل [معاتبة بلهجة حادة] إذا لم تســكت ،

يا چونى ، فلسوف تفتقدنى صوابى . من ذا الذى جمع شمل هذا البيت طيلة السنوات القليلة الماضية — ما من أحد سواى ؟ ومن ذا الذى سيتحتم عليه أن يتحمل أكبر قسط من هذا العبء سواى ؟ — ولكن ما من فائدة ترجى من العويل والنحيب .

چونى : لا تلومين إلا نفسك على كثير مما حدث — فقد تركت له الحبل على الغارب فى كل شىء ، ولم تكلفى نفسك مشقة كبح جماحه ، مهما فعل ؛ لماذا لم تتولى أمر النقود بنفسك ؟ لماذا . . ؟

[تسمع طرقة على الباب ؛ مسز بويل تفتحه ؛ چونى ينهض مستنداً على مرفقه لكى ينظر ويسمع ؛ يدلف رجلان] .

الرجل الأول : لقد أرسلنا مدير شركة (هايبرنيان) للأثاث ، يا مسز بويل ، لكى نعيد إلى المحل الأثاث الذى حصلتم عليه منذ حين .

مسز بويل : لن تمسوا أى شيء هنا – كيف لى أن أعرف من أنتم ؟

الرجل الأول : [يبرز ورقة] ها هو أمر من الشركة ، يا سيدتى . [يقرأ] خزانة للثياب (بوريه) ، منضدة ، كرسى كبير (فوتيل) وكرسيان عاديان ، مرآة ، أريكة كبيرة ، صوان للملابس ، وزهريتان . [مخاطبا زميله] هيا بنا ، يابيل ، فقد تجاوزنا ميعاد الانصراف :

چونى : أماه ، أسرعى بربك إلى حانة فولى وعودى بأبى ، وإلا لن يتبق لنا قشة واحدة .

[يحمل الرجلان المنضدة إلى خارج الشقة] .

مسز بويل : وما جدوى ذلك ؟ – لقد سمعت ما قاله قبل أن ينصرف .

چونى : ألا يمكنك أن تحاولى ؟ كان ينبغى أن يكون موجوداً فى مثل هذه الظروف .

[مستر بويل تلف وشالا، حولها ، بينما تدلف مارى]

مارى : ماذا جرى ، يا أماه ؟ لقد التقيت برجال يحماون المنضـــدة خارج الدار ، كما يتحدث كل الناس عن عدم حصولنا على النقود فضلا عن ذلك .

مسز بويل : لقد تقوض كل شيء ، يا مارى ، كل شيء . لن نحصل على بنس واحد من الوصية ، ولا بنس واحد — ولسوف أطلعك على كل شيء حين أعود ؛ إننى ذاهبة لإحضار أبيك . [تخرج مسرعة]

چونى : [مخاطبا مارى التى جلست على مقربة من المدفأة] من العجيب أنك لا تخجلين من أن ترينا وجهك هنا ، بعد الذى حدث .

[يدلف جرى متئداً ، تشيع فى وجهه نظرة تنم عن أمل قوى . يصوب نظره نحو مارى لبضع لحظات] .

جرى : [فى رقة] مارى ! [مارى لا تجيب]

جرى : مارى ، أود أن أتحدث إليك بضع

دقائق ، هل تسمحين ؟

[تظل مارى صامتة ، يدخل چوفى متئداً الغرفة التى إلى اليسار] .

چرى : لقد أخبرتنى أمك بكل شىء ، يا مارى ، وقد جئت إليك . . . جئت لأخبرك ، يا مارى ، أن حبى لك أعظم وأعمق من من ذى قبل . . .

مارى : [تنشج بالبكاء] أوه ، چرى ، چرى ، لا تقل أكثر من هذا ؛ فقد انتهى كل ذلك الآن ؛ وأى شىء من هذا القبيل محال فى الوقت الحاضر !

چرى : محال ؟ لماذا تتحدثين هكذا ، يا مارى ؟

مارى : بعد كل الذى حدث .

چرى : وفيم يهم ما حدث ؟ إننا لا زلنا صغار السن بحيث نستطيع أن ننسى كل هذه الأشياء . [يمسك يدها] مارى ، مارى ، إننى أتوسل إليك أن تمنحينى حبك . وبالعمل يا مارى تسمو الإنسانية فوق

كل شيء ؛ فنحن العمال طليعة الكفاح
من أجل حياة جديدة . أريد أن أنسى
بنتام ، أود أن أنسى أنك هجرتيننى —
حتى ولو لمدة وجيزة .

ماری : أوه چری ، چری ، إنك لم تشعر بازدراء
مرير نحوى مع ذلك .

چری : [متأثرا] ازدراء ! إننى أحبك ،
أحبك ، يا ماری !

ماری : [تهب واقفة وتنظر فى عينيه] حتى ولو . .

چری : حتى ولو أنك نبذتيننى من أجل رجل
آخر ؛ حتى ولو أنك وجهت إلىّ كثيراً
من الكلمات المريرة !

ماری : نعم ، نعم ، أعرف ذلك ؛ ولكنك
تحبنى حتى ولو . . . حتى ولو . . .
كنت . . على وشك . : على وشك . .
[ينظر إليها متسائلا ، والخوف يشيع فى عينيه]
آه ، لقد صدق ظنى . : أنك لا تعرف
كل شيء !

چرى : [بحدة] يالله ، يا مارى ، إنك لا تعنى أنك . . أنك . . أنك . .

مارى : والآن لقد عرفت كل شىء يا چرى ، الآن أنت تعلم كل شىء !

چرى : يا إلهى ، يا مارى ، هل هويت إلى هذا الدرك ؟

مارى : نعم ، يا چرى ، كما تقول ، لقد هويت إلى هذا الدرك .

چرى : لم أكن أعنى هذا القول ، يا مارى . . لقد باغتنى النبأ لدرجة أننى لم أع ما كنت أقول . لم أكن لأتوقع هذا مطلقاً — كما أن أمك لم تخبرنى قط . . إنى آسف . . يعلم الله أننى أشعر بالأسف من أجلك ، يا مارى .

مارى : فلنكف عن الكلام فى هذا الموضوع ، يا چرى ؛ إننى لا ألومك إذ تعتقد أن هـــذا الأمر فظيع . أحسب أنه كذلك . . وكل إنسان سوف يراوده

نفس التفكير . . لم تك إلا كما توقعت — أعنى أن إنسانيتك ضيقة الحدود كإنسانية الآخرين تماماً .

چرى : إنى آسف على أية حال . . كان ينبغى ألا أزعجك . . ولم أك لأفعل ذلك لو كان لدى علم . . وإذا كان بوسعى أن أقوم بأى بشىء من أجلك . . يا مارى . . فلسوف أفعله .

[يستدير لكى يذهب ، ثم يتوقف عند الباب] . .

مارى : أتذكر ، يا چرى ، الأبيات التى ألقيتها عندما كنت تحاضر فى « النادى الاشتراكى » ، منذ حين فى موضوع « صراع الإنسانية مع الطبيعة » ؟

چرى : الأبيات — كلا ؛ لا أذكرها .

مارى : أنا أذكرها . وهى تحضرنى الآن — وأحسنا بأن القوة التى صورت كل الأشياء الجميلة التى نبصرها .

والتى خلقت كل دبيب
وفقاً لناموس أبدى ،
إنها يد تتسم بالقوة والجمال ،
وتنتهى بمخلب نسر نهم .

° ° °

ثم رأينا عالمنا الجميل
يجمع القبح إلى جانب الجمال ،
أنشودة مقدسة صداها
صرخة أليمة ،
كقصة شيطان
يحكيها ملك ؛

° ° °

مثل صورة متألقة
أفسدت جمالها يد ترتجف ؛
مثل فوهات براكينها ، إذا استطاع
خمودها
أن يهب الحياة للقمر ؛

مثل لحن مفزع رهيب ،
يصدر من قيثار مختل النغم .

[تسود فترة صمت ثم ينصرف ديفين فى خطوات وئيدة] .

چونى : [يعود] هل ذهب ؟

مارى : نعم .

[يعاود الرجلان الدخول] .

الرجل الأول : لا نستطيع أن ننتظر قدوم رب البيت أكثر من هذا — إننا آسفون ، يا آنستى ، ولكن علينا أن نعيش كما يعيش غيرنا .

[يحملان بضعة أشياء إلى الخارج] .

چونى : أوه ، أليس هـذا فظيع ! أظن أنك أخبرتيه بكل شىء . . . ألم يكن بوسعك أن تتريثى لبضعـة أيام ؟ . . كان من الممكن أن تخف حدة وقع هـذه الأحداث عليه ، لو أنك لزمت الصمت . أوَ تتحرقين شوقاً إلى أن تعرّفى كل إنسان بالعار الذى جلبتيه لنا ؟

مارى : [تختطف قبعتها ومعطفها] أوه ، إن هـــذا لا يطاق !

[تندفع إلى الخارج] .

الرجل الأول : [يعاود الدخول] سوف نأخـــذ خزانة الملابس بعد ذلك — فهى أثقل الأشياء .

[يرتعش ضوء النور لحظة ، ثم ينطفىء] .

چونى : [تند عنه صرخة رعب] يا أم الرب ، لقد انطفأ النور !

الرجل الأول : لقد أفزعتنى بهذه الطريقة التى صرخت بها . إن الزيت قد نفد كله . هذا هو كل ما فى الأمر .

چونى : [يصرخ صرخة أعمق] يا أم الرب ، إن رصاصة توشك أن تصيبنى !

الرجل الأول : ما خطبك ، يا رجل ؟ هل أصابتك نوبة ؟

چونى : إنى أحس بألم فى صـــدرى ، كأنه وقع رصاصة تمزق جسدى !

الرجل الأول : لقد جنّ — من العجيب أن يترك فتى كهذا ، بمفرده فى هذا المكان .

[يدلف اثنان من المتطوعين مسرعين ؛ يحملان مسدسات ؛ يتجه أحدهما إلى چونى ؛ بينما يشهر الآخر مسدسه فى وجه حمال الأثاث] . .

المتطوع الأول : [مخاطباً الرجلين بهدوء وفى لهجة صارمة] من أنتما ؟ — ماذا تفعلان هنا ؟ — أجيبا بسرعة !

الرجل الأول : إننا ننقل أثاثاً لم يسدد ثمنه .

المتطوع : اذهبا إلى الطرف الآخر من الغرفة وأديرا وجهيكما للحائط — أسرعا ! [يدير الرجلان وجههما للجدار ، رافعين أيديهما] .

المتطوع الثانى : [مخاطباً چونى] هيا ، شون بويل ، إنك مطلوب . بعض الرفاق لديهم كلمة يريدون أن يقولوها لك .

چونى : إننى مريض — لا أستطيع ذلك — ماذا تبغون منى ؟

المتطوع الثانى : هيا ، هيا ؛ أمامنا مسافة طويلة نقطعها ، وليس لدينا متسع من الوقت — هيا .

چونى : إننى زميل قديم — لن تطلقوا النار على زميل قديم .

المتطوع الثانى : لقد كان المسكين تانكرد زميلا قديماً لك ، ولكنك لم تقم لذلك وزناً حين سلمته للعصابة التى أودت به إلى حتفه . وعلى كل ، ليس لدينا وقت نضيعه ؛ هيا — ديرموت ، أمسك ذراعه [مخاطباً چونى] هل أنت على استعداد للصلاة ؟

چونى : الصلاة ! لماذا توجه إلىّ هذا السؤال ؟ لماذا توجه إلىّ هذا السؤال ؟

المتطوع الثانى : هيا ، هيا . تقدم !

چونى : أو تقدمون على قتل زميل ؟ — انظرا إلى ذراعى ، لقد فقدته فى سبيل أيرلندا :

المتطوع الثانى : لقد فقد القائد تانكرد حياته فى سبيل أيرلندا .

چونى : أيها القلب المقدس للمسوع ، رحمة بى !
يا أم الرب ، فلتشفعى لى — كونى الآن
بجانبى وأنا أعانى سكرات الموت ! . . .
سلام عليك ، يا مارى ، يا من أفعم قلبك
بالرحمة . . . الرب يرعاك .

[يجذبان چونى بويل إلى الخارج ، ثم تسدل
الستار . وحينما ترتفع مرة أخرى يكون
معظم الأثاث قد اختفى . مارى ومسز بويل ،
تجلسان فى غرفة معتمة ، على مقربة من
المدفأة ، وكل منهما فى جانب منها ؛ بعد
مضى ساعة] .

مسز بويل : لن أنتظر أكثر من هذا . . . لم أخذاه
بعيدا فى العربة ؟ نيوچنت يقول إنه
يعتقد أنهما كانا يحملان أسلحة نارية . .
ألن تقف متاعبى عند حد أبدا ؟ . . .
إذا أصاب چونى المسكين أى مكروه ،
فأغلب الظن أننى سأفقد صوابى . . .
سوف أتوجه إلى قسم البوليس ، فمن
المؤكد أن فى مقدورهم أن يفعلوا شيئاً .

[تسمع جلبة أصوات صادرة من أسفل] .

مسز بويل : صه ، هل أسمع شيئاً ؟ قد يكون أباك ، رغم أننى حينما تركته فى حانة فولى كان يرفع رأسه بكل صعوبة . صه !

[تسمع طرقة على الباب ، وصوت مسز ماديجان وهى تتحدث فى همس] :

مسز بويل ، مسز بويل .

[مسز بويل تفتح الباب] .

مسز ماديجان : أوه ، يا مسز بويل ، فليكن الرب وأمه المباركة فى عونك هذه الليلة !

مسز بويل : [بهدوء] ماذا حدث ، يا مسز ماديجان ؟ إنه چونى — شىء يتعلق بچونى ؟

مسز ماديجان : لا قدر الله ، لا قدر الله أن يكون چونى !

مسز بويل : لا تدعينى أنتظر ، يا مسز ماديجان ؛ لقد عانيت كثيراً فى الأيام الأخيرة لدرجة أننى أحس بالقدرة على مواجهة أى شىء .

مسز ماديجان : اثنان من رجال البوليس بالباب يريدان مقابلتك .

مسز بويل : يريدان مقابلتى ؛ ولماذا يريدان مقابلتى ؟

مسز ماديجان : لقد عثر على جثة شخص مسكين ، وهما يظنان أنه ، أنه . . .

مسز بويل : چونى ، چونى !

مارى : [تحيط أمها بذراعيها] أوه ، أماه ، أماه ، أمى العزيزة ، المسكينة .

مسز بويل : صه ، صه ، يا عزيزتى ؛ سوف تتجشمين نصيبك من المتاعب بعد قليل [مخاطبة [مسز ماديجان] ولماذا يظن البوليس أنه چونى ، يا مسز ماديجان ؟

مسز ماديجان : لأن أحد الأطباء ممن كانوا يشرفون على علاج ذراعه المسكين قد تعرف عليه .

مسز بويل : أوه ، هذا صحيح ، إذن ، إنه چونى ، إنه ولدى ، فلذة كبدى !

مارى : أوه ، لقد صدق ، لقد صدق چرى

ديفين بقوله — ليس ثمة إله ، ليس ثمة إله ؛ إذا كان موجوداً فلم يكن ليرضى بوقوع هذه الأشياء !

مسز بويل : مارى ، لا يجدر بك أن تتفوهى بهذه الأقوال . إننا الآن سنكون فى حاجة إلى كل عون يمكن أن نتلقاه من الرب وأمه المباركة ! هذه الأشياء ليس لها شأن بإرادة الله آه ، ماذا يمكن للرب أن يصنع إزاء غبوة الناس !

مسز مادیجان : يجب رحلا البوليس منك أن تتوجهى معهما إلى المستشفى لكى تعاينى جثة المسكين — إنهما فى انتظارك بالباب .

مسز بويل : لسوف نذهب . تعالى ، يا مارى ، ولن نعود إلى هنا مرة ثانية قط ؛ دعى أباك يرعى شؤون نفسه الآن ؛ لقد بذلت كل ما فى وسعى وضاعت جهودى كلها هباء — لسوف يظل ميئوساً منه حتى آخر أيام حيـــاته . هناك غرفة

صغيرة فى منزل أختى سوف نقيم فيها
حتى تنتهى متاعبك ، ومن ثم سوف
نعمل معاً من أجل الطفل .

مارى : طفلى الصغير المسكين الذى لن يكون
له أب !

مسز بويل : سوف يكون له ما هو أفضل بكثير —
سوف تكون له أمّان .

[صوت خشن يصيح من الطابق السفلى] :
هل ستدعوننا فى انتظاركم طوال الليل ؟

مسز ماديجان : [تذهب إلى الباب وتصيح إلى أسفل] مهلا ،
مهلا ! وإذا كنتما فى مثل هذه العجلة ،
فلتغربا إذن ، فما من إنسان يرغب فى
وجودكما هنا — ولو أن أحداً احتاج
إليكم لما عثر عليكم . ذلك أنه لم يتبدل
حالكم عما كان عليه تحت الحكم
البريطانى — لا توجدون قط حيثما تدعو
الحاجة إليكم ! فى اعتقادى ، أن البوليس

كما ينبغى أن يكون البوليس . ليس له وجود فى هذه المدينة !

مسز بويل : لسوف نذهب ، يا مارى ، سوف نذهب ؛ أنت لكى ترى أخيك المسكين الذى مات ، وأنا لكى أرى ولدى المسكين الذى قضى نحبه !

مارى : إن ذلك يفزعنى ، يا أماه يفزعنى !

مسز بويل : لقد نسيت ، يا مارى ، نسيت ؛ إن أمك المسكينة العجوز الأنانية لم تفكر إلا فى نفسها فحسب . كلا ، كلا ، ينبغى ألا تحضرى — فلن يكون هذا من صالحك . توجهى أنت إلى بيت أختى ولسوف أواجه المحنة بمفردى . من المحتمل أننى لم أشعر بأسف كاف نحو مسز تانكرد حين عثر على جثة ابنها المسكين كما عثر على جثة چونى الآن — إذ أنه كان من جماعة "المقاتلين المعاندين" ! آه لماذا لم أتذكر حينذاك أنه لم يكن من أتباع " المقاتلين

المعاندين " أو من الموالين لجماعة" أيرلندا الحرة " ، وليس سوى ابن مسكين قد مات ! من حسن الطالع أننى أذكر كل ما قالته — ولقد جاء دورى فى أن أقوله الآن ، لا تقاس الآلام التى عانيتها ، يا چونى ، فى إنجابك إلى هذه الحياة لكى أحملك إلى مهدك ، بالآلام التى سوف أعانيها وأنا أحملك من هذه الحياة لكى أشيعك إلى لحدك ! يا أم الرب ، يا أم الرب ، حنانيك بنا جميعاً ! أيتها العذراء المباركة ، أين كنت حين مزق الرصاص جسد ولدى الحبيب ؟ أيها القلب المقدس لليسوع ، فانتزع قلوبنا التى قدّت من حجر ، ولتمنحنا قلوباً من لحم ودم ! انزع عنا هذا الحقد القاتل ، وامنحنا حبك الأبدى !

[ينصرف الجميع فى تؤدة] .

ـ تسود فترة صمت ؛ ثم يسمع وقع أقدام

متثاقلة على الدرج خارج الشقة . يفتح الباب ؛ فيدلف بويل وچوكسر وقد ثمل كل منهما] .

بويل : لا يمكنني أن أذهب إلى أبعـــد من ذلك . . . رجلان من البوليس ، إي . . . ماذا كانا يفعلان هنا ، يا ترى ؟ . . . لا بد أنهما يضمران شراً ؛ على أية حال . . . كما أن چونو وابنتي الجميلة بصحبتهما . . . [يخرج قطعة من فئة الستة بنسات وينظر إليها] قطعة واحدة فريدة باقية من كل المبالغ التي اقترضتها . . . [يدعها تسقط] آخر الهنود الحمر . . . لقد أسدلت الستائر ، يا چوكسر ، لقد أسدلت الستائر !

چوكسر : [يسير مترنحاً عبر الغرفة ، ثم يتوقف عند السرير] انسَ . . . همومك . . . وابتسم . . . ابتسم . . . ابتسم !

بويل : يجب على البلاد أن تثبّت نفسها . . . فهي ذاهبة . . . إلى الجحيم . . . أين

كل . . . الكراسى . . . لقد ذهبت . . .
لتثبت نفسها ، يا چوكسر . . . لسوف
يتحتم على . . . الكراسى . . . أن تثبت
نفسها . . . ليس بذى بال . . . ما قد
يقوله أى . . . إنسان . . . فإن أيرلندا
الواعية . . . هى أيرلندا . . . الحرة .

چوكسر : [يتمدد على الفراش] الأغلال . . . و . . .
العبودية . . . هذا شعار عزيز . . .
شعار . . . عز . . . يـ . . . يز !

بويل : إذا تأزمت . . . الأمور . . . فبوسعى
أن ألتحق . . . بسلاح . . . الطيران . . .
لقد أديت . . . واجبى . . . فى « أسبوع عيد
الفصح » . . . لم يكن . . . لى . . .
شأن . . . هناك . . . ولكن كابتن بويل
هو كابتن بويل !

چوكسر : إنسان على قيد الحياة . . . هكذا . . .
وت . . . هذه . . . أرضه . . .
ى : مت . . . قط . . . أسى !

بويل : [يستقر جالساً على الأرض] لقد مات القائد كيلى . . . بين هاتين . . . النراعين . . . يا چوكسر . . . وهـــو يقول : . . بلغ رفاقى المتطوعين : : . أننى . . . مت فى سبيل ... أيرلندا !

چوكسر : هـــل قرأت " ويلى . . . رايلى . . : وحبيبته . . . كولين . . . بون " ؟ إنها قصة عزيزة ، قصة عز . . يـ . . يزة !

بويل : أؤكد لك . . . يا چوكسر . . . أن العالم بأسره . . . فى حالة . . . مر . . . يعة من . . . الفوضى !

[ســتار]